

المدير: عبد الله البقالي

سنة: 54

سنة التأسيس: 1969/2/7

الخميس 16 مارس 2023

الموافق 23 من شعبان 1444

10 ، شارع زنقة المرج حسان الرباط

bachkar1707meo@gmail.com

وحده الموت ينهني ويردع تسلّيتي في هذا العالم الافتراضي ويهمس في أذني: فيسبوك ليس لعبة، إنه سيرة حياة توثق للإنسان في الفراشين اللذين بين الولادة ونحن رُضع والنزع الأخير ونحن ذاهلون خشع، بل ونتبع هذا الإنسان عبر فيسبوك دائماً لنشيعه حتى نردمه في حفرة، فيسبوك ليس لعبة في رمضان وطيلة العمر، يعلمنا أن نتواضع إلى الرُكْب، لأن لا أحد يضمن أن لا يصعد أحدهم غداً بصورتك في إطار أسود وخط كوفي أنيق، ويكتب بحبر يقطر حدادا: إنا لله وإنا إليه راجعون!

الجميع في فيسبوك أصبح شاعرا، ناقدا، إعلاميا، وما عادت الكتابة بهالتها الأدبية المهيبية، حkra على الأقلام التي تقف بكعب طويل تتجاوز كل القامات، وأجدني وأنا أرتكب جريمة قراءة ما يُنشر على هذا الحبل الطويل من غسيل، ألمس كعب حدائي القصير وأصرخ: لا..لا.. قد أقبل أي توصيف يحيق بالكتابة أو حتى يُرديها بالمحِق محوا، إلا أن يعتيرها من لم يعيش حياتها التي تسري في شراييننا سطورا من الداخل، مجرد شيء يقتتره من لا شغل يلهيه عن العُض بأنياب الكلام عميقا في لحم الناس، حتى وقت ليس بالبعيد في العقارب والسنين، كنا ننتظر بفارغ الصبر أن يُصدر روائي أو شاعر أو مفكر نُحبّه عملاً جديداً نروي به ظمأنا للمعرفة والجمال، وكنا حين يحل أديب ضيفا في إحدى الأماسي الرمضانية، نمضي رغم الفاقة مشيا على الأقدام لمسافات طويلة، لا نملك شيئا نخسره حتى الوقت ليس ملكنا، ألم تر أنه تحت سيطرة من نسميهم في بلدنا كدلالة على السلطة ب (أصحاب الوقت)، أو ليس هم من يزيدون أو ينقصون ساعة، ولكن يكفي أننا نملك في النوم واليقظة الكثير من الأحلام!

لا أتجاوز في قراءاتي الرمضانية الجملة التي تعود عليّ مفرداتها بالنفع وتحفزني جماليا أو إعلاميا على كتابة أخرى، عساها تفيد القارئ دون أن تستدر مع الضجر الدمع، وأقصد القراءة الشذرية التي نجدها في كتب المتصوفة أمثال النفري وابن عربي وبعض المستظرفات في ترائنا الأدبي العربي، وقد أمضي بالتأمل قصيا في الحكيمات وأغترف من ديوان المتنبي، ناهيك عن قراءتي لكل المواد التي تفدني للمحق «العلم الثقافي» وتأخذ من صدري قلبا كبيرا من الجهد من حيث التحرير والبحث عن الصور التي تناغمها جماليا، وفيها الشعر والقصة والدراسة أو القراءة النقدية الأدبية والترجمة والإصدارات الجديدة والمقالة الفكرية، وهلم قراءة حتى يتبين السطر الأبيض من السطر الأسود في ورق الجريدة!

هذه الكلمة
المزيدة والمنقحة،
مُستقاة من حوار
أجره معي منذ
سنوات الإعلامي
«محمود فضيلي»
لـ «الجزيرة نت».



محمد بشكار

bachkar_mohamed@yahoo.fr

العلم الثقافي



عاداتي غير

السيئة في رمضان

تشبه في نكهتها وصية رجل فضل أن يبدأ الحياة من حيث يموت في الكتابة... وهكذا إلى آخر البدايات التي تنتظرنى أنهيتها بقدر أصنعه محتوما!

لا أقرأ في رمضان إلا ما أسلفت في كتابته طيلة العام، أنتهز فرصة جوعي لأشبع نهم قصائدي التي لم تكتمل، أصالح الأسطر ببعضها بعد طول خصام ليستقيم المعنى ويصبح للصورة وجه ترى به نفسها في مرآة الإبداع، أو قد أصالح كل القصائد التي كتبتني في غفلة من وعيي الذي نهبه تسارع الزمن، لأجمعها في ديوان أعلم أنني سيأعب في العثور على عنوان يليق بجنونه أكثر مما يتطلبه إبداع ناشر!

أقرأ تعازي فيسبوك وما أكثر جنازاتها في رمضان، وأنشغل بتقديم أصدق المواساة عساني أظفر ببعض الحسنات في شهر الغفران، وأفكر في الأصدقاء الذين رغم رحيلهم من الدنيا ما زالت حساباتهم مفتوحة، شتان بين الزرقة في فيسبوك والزرقة حيث هم في السماء!

لا يُمكن إن أختصر ذكرياتي مع رمضان بخفة بائع يُلوي الحمص والفول في ورقة، ثم أنثرها بتوايل من قبيل الملح والكمون، فماذا يُجدي أن يستطيب الجميع طعمها وهي بُرة، وأجمل الذكريات مع رمضان كانت في الصغر حين كنا نأكل طعام غيرنا.. وأقصد أهل البيت، وما هي نفس العادة السيئة قد اتسعت برقعته في الكبر، وأصبحنا نرى من يأكلون طعام الغير في كل الأيام وهم يقولون ساخرين: حقمك في الجنة!

أما أنا فقد اكتسبت عادات جديدة في رمضان، لا تبعد كثيرا بمسافة سطر أو سطرين عن القصيدة، أقرأ في رمضان ما تساقط في غفلة مني، وترك في نفسي منطقة جوفاء تحتاج لامتلاء نفسي، فلا أنشغل إلا بالبدايات: بداية قصيدة، بداية، مقالة، بداية رواية قد



خمس وأربعون دقيقة وبضع ثوان



الأعمال الرحلية الكاملة

صدر للكاتب المغربي العربي بنجلون، عنوان جديد يدخل في خانة أدب الرحلة، هو «الأعمال الرحلية الكاملة»، ويضم بين دفتيه جملة من أسفار ورحلات، قام بها نحو الدول العربية والغربية والآسيوية.

يذكر «بنجلون» في عتبة الكتاب: «تكمّن دواعي رحلاتي، أولاً، في ما حكى لي عن جدي لأبي، الذي كان مدمناً على السفر حد الثمالة، في عصر كان فيه السفر قطعة من العذاب، بل مغامرة بالنفس والمال، فالمسافر يقطع الفيافي والقفار والجبال على كف عفريت، لكن الفرق بيني وبين جدي، هو أنني كنت وما زلت، أمتطي السيارة والطائرة والباخرة والقطار، وتزوجت امرأة واحدة، فيما جدي، كانت الباهرة مطيته في أحسن الحالات، كما حكى لي أمي، وعقد في ديار الغربية على دزينة من النساء، ثم فض العقود معهن، أي كان مزواجا ومطلقاً..!»

ويضيف «بنجلون»: «

«ثانياً، وأنا في عن شبابي، اكتشفت متعة الرحلة ولذتها، وما يمكنني أن أجنيه من فوائد ومقاصد وثقافية، أغنت تجربتي الحياتية والكتابية، وشكلت تضاريس شخصيتي، ما جعلني دائماً على أهبة السفر،

أحمل حقيقتي، وأنتقل بين الدول، تارة من تلقاء نفسي، وتارة بدعوة من اتحاد كتاب ما، أو وزارة إعلام، أو ثقافة، وهكذا.. إلى أن راكمت أسفاراً ورحلات شتى، التقيت فيها بشخصيات أدبية، وشاهدت آثاراً وحضارات موعلة في التاريخ البشري، وساهمت في لقاءات وندوات ثقافية، عرفت خلالها بأدبنا المغربي حيناً، العربي حيناً آخر، وساهمت في تأسيس مجلات للأطفال في بعض البلاد العربية، وفي بعضها الآخر، قدمت قراءات قصصية وشعرية لـ (فلذات أكبادنا التي تمشي على الأرض)..، لكنني، وللحقيقة والتاريخ، لا أذكر أنني عانيت يوماً في أسفاري، مثلما عانى جدي من سطو على ماله ومتاعه، وتهديد لبدنه ونفسه، حجمته عن مواصلة رحلاته، غير بعض المواقف التي لم تكن لها أي أثر كبير علي، مثل ما حدث معي في تونس والكويت وألمانيا وهولندا والصين واليابان.. فكلها حالات عرضية، عاجتها باللين والحسن، وبما تقتضيه اللحظة، مما سيأتي توضيحه أثناء الحكّي!»

يقع الكتاب في 254 صفحة من الحجم المتوسط، وطبعت منه 3000 نسخة في وراقة بلال بفاس سنة 2022، قامت بتصميم الغلاف لبنى جوهر.

«وفي الليلة التي عرفت توقف النبض فيه، قبل ذلك بنصف ساعة، تعرق جسمه، وأصبح بارداً بشكل لم يعرفه من ذي قبل . كان قد قرأ آخر صفحة من رواية بدينة .

أجهدهته كثيراً بالعبارات المترادفة، والتفاصيل الزائدة عن الحد، والأحداث المفتعلة المملة.

شخصيتها الرئيسية، التي يعرفها تمام المعرفة، إذ سبق له أن التقاها في عشرات الروايات التي قرأ، كانت تعاني، هذه المرة، من أزمة نفسية حادة ..

وفي النصف الأول من اليوم الثاني، قبل ساعات من الليلة التي عرفت رحيله المفاجئ، كان قرأ في أحد فصول الرواية، على لسان الشخصية المتأزمة:

لا تصلون من أجلي .. لم تصلون من أجلي ؟ لست بحاجة إلى شفيع ..

الأمر أمري وأنا كفيل بتدبيره دون حاجة إلى معين ..».

نلمح أن الأديب عبد الحميد الغريباوي قاص وروائي ومترجم مغربي، يمارس أيضاً الفن التشكيلي، من مواليد مدينة الدار البيضاء بالمغرب سنة

1952.

صدرت له أكثر من عشر مجموعات قصصية وأربع روايات، وله في الترجمة: الكيمياء لباولو كويلهو (2005)، والأمير الصغير لسان إكزيبييري، والعديد من الأضاميم القصصية الخاصة بالأطفال، كما أصدر في اللغة سلسلة المعين في التراكيب والإعراب والإنشاء والصرف والإملاء، و له قاموس عربي عربي، كما يشرف على موقعين خاصين بالقصة والشعر (المحلاج) و (وتريات).

هي فعلاً قصصاً قصيرة لن تأخذ من وقتنا إلا دقائق، ولكنها طويلة بشحنة الحيوانات التي يلتقط مشاهدتها بحنكة القاص والروائي المغربي عبد الحميد الغريباوي. وتقصّد مجموعته القصصية «خمس وأربعون دقيقة وبضع ثوان» الصادرة ضمن منشورات

جامعة المبدعين المغربية عن مطبعة وراقة بلال بفاس سنة 2021، والتي تقع في 100 صفحة من الحجم المتوسط، وقد أثر الكاتب أن يستهلها بمقتطف من المقدمة المضيئة للمجموعة القصصية «الحكواتي» التي كتبها الراحل عبد الستار ناصر، يقول فيها: «أنا مؤمن - ومعني كتابي هذا - أن القصة القصيرة أنقذتني من البلاء والموت والفراغ والجنون، ذلك أنني دونها ما كنت أفهم كيف تستمر الحياة، وقد يبدو كلامي هذا محض تبرير عابر حتى أعطي لنفسه الحق في نشر كتاب آخر يضاف إلى أعماله، بينما الحقيقة هي غير هذا تماماً، إذ كتابة القصص تحتاج مني ومن اكتشاف المستور وإضاءة العتمة، وتحتاج إلى كمية من التأمل والقراءة وإلى حفنة من التجارب تضاف إلى مخزون الذاكرة، وليس من السهل تصدير حالة ما أو استيراد حالة غير ها إلا بصعوبة لن يعرفها لاحقاً غير من عرف الصنعة واكتوى بناها المقدسة.»

أما من يبحث عن كلام نابع من القلب في هذه الأضمومة، ما عليه إلا يقرأ النبض المبتوث في الغلاف الأخير لهذا الكتا القصصي، يقول الكاتب:

بهاء ذاكرة

ضمن منشورات سليكي أخوين بطنجة، صدر أخيراً في حلة أنيقة، أخيراً للكاتب المغربي أحمد الخالدي، مؤلف يحمل عنوان «بهاء ذاكرة»، وهو عمل يهتم بقضايا المدينة والكتابة من زاوية تحليلية فلسفية وثقافية.. وقد زاده إضاءة التقديم الذي كتبه الشاعر المغربي حسن الوسيني.

يكتنف الكتاب بين دفتيه، فصلين هما:

- المدينة والكتابة

- سير مبدعة

خصّصهما المؤلف لسير بعض أصدقائه الذين أبدعوا في جوانب مختلفة من الحياة والكتابة...

تجدر الإشارة إلى أن لوحة الغلاف من إنجاز الفنان حكيم غيلان.



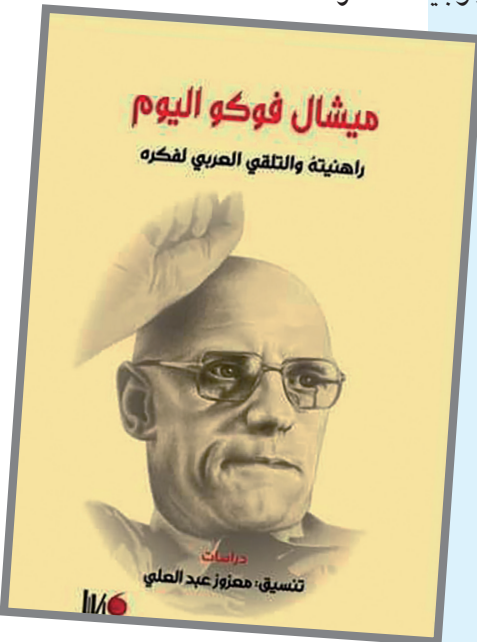


تنسيق:
عبد العلي
معزوز

ميشال فوكو اليوم

راهنيته والتلقي العربي لفكره

عن دار «الفاصلة للنشر» صدر أخيراً مؤلف جماعي، بتنسيق من الكاتب عبد العلي معزوز، يحمل عنوان «ميشال فوكو اليوم.. راهنيته والتلقي العربي لفكره». وطرحت، في مستهل بطاقة الكتاب التعريفية، مجموعة من الأسئلة، من بينها: «ما المدخل الأفضل إلى ميشال فوكو؟»، و«كيف الولوج إلى فكره؟»، و«ما الأسئلة الراهنة التي ما زالت تثيرها فلسفته؟». وأشارت البطاقة التعريفية إلى أن «السبيل إلى فهم فكر فوكو والولوج إليه هو محاولة الاقتراب والدنو منه، ووضع فلسفته على محك القرن الواحد والعشرين، بمعنى فحص راهنية فكره اليوم، ومحاولة ابتكار طرق جديدة لاستدعائه إلى الحاضر، وهو الذي ما فتى يؤكد على ضرورة التفكير في الحاضر، بالأخص التفكير في أنطولوجيا الحاضر».



وتساءل مؤلفو الكتاب: «أليس فوكو هو مبتكر مفردة أو عبارة أنطولوجيا الحاضر l'ontologie du présent؟ أليس استدعاء فكر فوكو دليل على الحاجة الملحة والمتجددة إلى فيلسوف من عياره؟ بل إلى الحاجة الملحة لمتقف من حجمه، ليس باعتباره مثقفا عضوا على غرار ما عناه غرامشي، ولا بوصفه مثقفا كونيا على غرار سارتر، وإنما بوصفه مثقفا متخصصا كان منخرطاً في كل أشكال الاحتجاج، بدءاً من تأسيس هيئة لمراقبة السجن (GIP) رفقة ثلة من أصدقائه».

وأشار المصدر ذاته إلى أن «أهمية استلهام فكر فوكو تبدو في مسألة حيوية تتمثل في الحاجة الملحة إلى صنع وابتكار الذات، أو ما يمكن تسميته بالفرنسية سيرورة التذويت la subjectivation، مضيافاً «إذا كان النمط الرقابي يخلق ذاتاً خاضعة للتقنيات الرقابية، والنمط الطب-عقلي يخلق ذاتاً تتن تحت وطأة المرضي le pathologique فإن الحاجة تبدو ملحة إلى ابتكار ذات متحررة من تقنيات السلطة».



أربعينية الفقيه
بنعيسى بوحمامة

عند فوهة البركان تجلس الفراشات

عبر حكايات ساحرة
عبر ملاحم منسيّة.

وابتسامتي الشائكة
تداعب ملاحمك العميقة
وتأتي الأرض
تبحث عن حضن لدينا.

هبوب ناعم كالحرير
يجف عبر أحلامنا
والحلم القديم في هذا العالم
يباركنا.

(القصيدة للشاعرة
الألمانية إرّه لاسكر - شيلرا)

إلى الحب

الكل يبحث عنك ،
عن إغراءاتك في كل مكان ،
من داخل ألف حجاب
يتلألأ وجهك بافتنان.

لكن ، قلّة من
تحقق رغباتهم ،
أياماً مباركة ، وسعادة خالصة.

بجنان تهب عليك الورد ،
رحلة الفراشات البهية ؛
الريح أكثر وحشية ،
والبحر المتقلب على الدوام.

تتألق بجمال
من عيني إنسان يجتضن حبيباً
بين ذراعيه ،
تنقوس فوقه السماء المرصعة بالنجوم.

في الروح المرتجفة
يتطير رذاذ
الموت والحياة.

(القصيدة للشاعرة الألمانية
فرانيسكا شتوكلين)

بيت الشعر في المغرب يحيي أربعينية الناقد الراحل بنعيسى بوحمامة

يحيي بيت الشعر في المغرب والمديرية الإقليمية لقطاع الثقافة بمدينة مكناس، الذكرى الأربعينية لوفاة الأستاذ الناقد بنعيسى بوحمامة، بحضور أسرته ومشاركة الأساتذة: محمد الأشعري، رشيد المومني، نجيب العوفي، علال الحجام، خالد بلقاسم وحسن مخافي، وذلك يوم السبت 18 مارس 2023 في الساعة الرابعة مساءً برياض ديدي بمدينة مكناس. والدعوة عامة.



نور الدين
الغطاس

أتعرف ما هو الحب؟
الحب قصيدة

والقصيدة في الربيع كتبت
وفي الصيف نوقشت
وفي الخريف قرئت
وفي الشتاء حلم بها...

أختار الشاعر المغربي نورالدين الغطاس المقيم بألمانيا والحامل لجنسيتها، أن يطلق هذه المرة ترجمة لديوان سماه «عند فوهة البركان تجلس الفراشات»، صدرت ضمن منشورات «ستار» في ألمانيا والناشر «بيت الكتاب السوري-العراق»، وقد كتب التقديم لهذا العمل الدكتور يوسف حنا من فلسطين، ويعتبر هذا الديوان ثمرة مجهود كبير قام به المترجم المغربي-الألماني نورالدين الغطاس في عملية إبداعية مميزة نقل فيها مختارات لقصائد حب من الشعر الألماني إلى اللغة العربية، ليتعرف القارئ العربي على شعراء ألمان أمثال هرمان هسه، راينر ماريا ريلكه، يوهان فون غوته، هلدلين، فريدريك شلر وغيرهم من الأسماء الهامة، كما يسلط عليهم الضوء في توطئة مفصلة ومكتفة وسيرة حياة كل واحد من أولئك الشعراء.

الديوان بتصميم وطباعة أنيقين للغاية تصيف للقارئ متعة كبيرة في تناوله ما بعدها متعة، عدا أهميته القصوى للدارسين والمختصين في هذا المجال للاعتماد عليه وعلى مضامينه في دراستهم وأعمالهم الأكاديمية، خصوصاً أن المترجم أرفق النصوص الأصلية باللغة الألمانية إلى جانب ترجمته إلى اللغة العربية. عندما سئل المترجم لماذا موضوع «الحب» أجاب:

«في النهاية وجدتني أمام موضوعان «الحب» أو «الموت»، اخترت الموضوع الأول لأنني أردت أن يتعرف القارئ العربي على هواجس، أحاسيس ومشاعر أكبر الشعراء الألمان عندما يتذوقون حلوة أو مرارة الحب، الكثير من القصائد في الكتاب ترجمت لأول مرة إلى اللغة العربية.» يجب الإشارة أن نورالدين الغطاس مهندس ويعمل مديراً في شركة ألمانية عالمية، دخل عالم الترجمة عن طيبة خاطر، كتب في مقدمة ترجمته:





عبد الجبار العلمي

التجربة الشعرية عند الشاعر عبد الكريم الطبال

من خلال المجالات الأدبية في المشرق والمغرب

الرومانسية المهجرية ، في حين نجد في القصيدتين الأخيرتين روح الحماسة والوطنية. وقد ذكر الشاعر الباحث محمد الميموني في كتابه « في الشعر

المغربي المعاصر سبع خطوات رائدة» (2) ، مجموعة من القصائد نشرها الشاعر في مجلة الأنيس ومجلتي « المعتمد » و « كتامة » وهي كالتالي : « أحلام » ، بالعدد الواحد والستين (61) ، فبراير 1952. (وهي أولى قصائد الشاعر المنشورة في « الأنيس » ، محمد الميموني ، ص : 106) ؛ « شوق وحنان » ، مارس 1952 ، « العواصف » ، غشت 1952 ؛ « يا فرحتي » ، يناير 1953 ؛ « المدينة البيضاء » ، فبراير 1954 ، وهكذا يكون مجموع نصيب مجلة « الأنيس » من شعر الشاعر المنشور في هذه المجلة ثلاث عشرة قصيدة. أما قصيدته « يارياح » و « قيثارة » ، فقد نشر الأولى في مجلة « المعتمد » ، عدد 28 ، شتنبر 1954 ؛ والثانية نشرها في مجلة « كتامة » عدد 4 ، دجنبر 1954. وقد جمعت الباحثة الأستاذة هدى المجاطي - رحمها الله - الأشعار التي كتبها الشاعر في مرحلة البدايات في كتاب بعنوان: « عبد الكريم الطبال أشعار أولى » (2014) (3)

وواظب الشاعر عبد الكريم الطبال على نشر أشعاره كذلك ، في العديد من المجالات المغربية والمشرقية كتبها في سنوات الستين وما بعدها ، نذكر منها المجالات التالية حسب الجدول التالي الذي يبين القصائد التي نشرها الشاعر في العديد من المجالات المغربية والمشرقية من بدايات الستينيات إلى السنة السادسة من الألفية الثالثة (2006 م.) (4) :

القصيدة	المجلة	عدد	الشهر	عام	الصفحة
أين الربيع ؟	أقلام	3	يوليوز	1964	57
أحلام عاصفة	أقلام	5	أكتوبر	1964	44
اغنيتان للسفر والحب	أقلام	1	مارس	1976	81
البومة	أقلام	7	أكتوبر	1977	62
الأصدقاء	أقلام	9	ديسمبر	1977	105
في عرس محمد كريمة	أقلام	1	يناير	1979	97
ثلاث قصائد	أقلام	7	يوليوز	1979	78
الشاون	أقلام	9	شتنبر	1979	77
بطاقة	أقلام	5 - 6	أكتوبر	1980	151
أغنيات إلى الزهراء	أقلام	54	يونيو	1981	133
خارطة جديدة	أقلام	56	أبريل	1982	113
أغنية حب	الاداب (البيروتية)	58	يوليوز	1970	58
المغرب	الاداب (البيروتية)	3	مارس	1978	104
قالت الوراق	إبداع	11	نوفمبر	1997	87
قالت العارفة	إبداع	9	سبتمبر	1998	128
من أوراق ابن عربي	المناهل	34	يوليوز	1986	104
طفلة	المناهل	45	يوليوز	1994	72
وردة	المناهل	46	غشت (أغسطس)	1995	412
كاننات تحكي	المناهل	47	سبتمبر	1995	435
الصديق الطيب	افاق	1	يناير	1993	39
في الموقد	افاق	57	يونيو	1995	7
على عتبة البحر	افاق	61 - 62	يناير	1999	330
القصيدة بيت الكون	البيت	4 - 5	يونيو	2002	122
اراض شعريه (قصائد الشاون)	البيت	8	يناير	2004	7
قصائد	البيت	9	يناير	2006	7
باب برد	الثقافة المغربية	7	مايو	1992	66
كالقصيدة	الثقافة المغربية	20 - 21	فبراير	2003	261
ولك السلام ، العزيز الراحل محمد بنعمارة	الثقافة المغربية	34	يناير	2010	92
هواء ساكن	الثقافة المغربية	35	يونيو	2012	غير مثبتة في المجلة

لشاعر عبد الكريم الطبال تجربة شعرية غنية، بدأها بنشر قصائده الرومانسية في مجلة « الأنيس » التي كانت تصدر بمدينة تطوان. أسسها المرحوم محمد المراكشي، وكان يرأس تحريرها الأديب امحمد الجحرة رحمه الله، وذلك في الأربعينيات والخمسينيات، (من 1946 إلى 1956)، وهي السنة التي توقفت فيها عن الصدور نهائيا. (1) وقد كان ينشر فيها شاعرنا إلى جانب شعراء آخرين، من أبرزهم الشاعر المغربي الأستاذ محمد السريغيني، الذي كان يوقع قصائده باسم «محمد نسيم السريغيني». و« الأنيس » من ضمن مجموعة من المجالات الأدبية والثقافية التي كانت تصدر في تطوان في تلك الفترة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : مجلة « المعتمد » لصاحبها الشاعرة الإسبانية «تيرينا ميركادير» ومجلة « كتامة » للشاعر «خاتينتو لوبيت غورخي» ومجلة «السلام» (1933) للأستاذ محمد داود ، ومجلة « الأنوار » (1946) لأحمد مدينة ، وغيرها من المجالات الثقافية والأدبية التي كانت تمثل نهضة أدبية في عهد الحماية في المنطقة «الخليفية» في الشمال المغربي. ومن قصائده التي نشرها في مجلة « الأنيس » ، نذكر هنا القصائد التالية حسب الجدول أسفله، وهذه هي القصائد التي أمكن لي الحصول عليها ، وأحتفظ بصورها متفرقة من مجلة الأنيس، وكان قد صور ما أمكن تصويره منها شقيقي الباحث د. عبدالواحد التهامي العلمي :

القصيدة	العدد	السنة	الشهر	عام	الصفحة
غروب	87	التاسعة	أبريل	1954	12
القيارة الصامتة	90	التاسعة	يوليو	1954	14
شفتاك	91	التاسعة	غشت	1954	15
صلاة	96	العاشرة	يناير	1955	14
إلى وردة حمراء ...	99	العاشرة	مايو	1955	19
فجر الصبا	؟	؟	؟	غير موثقة	11
أغنية الاستقلال	110	الحادية عشرة	مارس	1956	4
تحية العرش	؟	الحادية عشرة	؟	؟	3

ملحوظة : قصيدتا « فجر الصبا » و « تحية العرش » لم أتمكن من توثيقهما فما أتوفر عليه من صورهما من المجلة ، ص : 11 وص : 3 وقع سهو في توثيقهما. وحاولت أن أستعين بكتاب « عبد الكريم الطبال / أشعار أولى » للدكتورة هدى المجاطي رحمها الله ، فلم يتح لي الحصول عليه لنفاذ نسخته في مدن الشمال حيث وزع، وخاصة طنجة وتطوان. ومن الجدير بالملاحظة أن القصائد الست الواردة في الجدول ، نلمس فيها الروح

الأرشيف					
30	2010	فبراير	23	طنجة الأدبية	من كتاب الطير
142	1983	يناير	15 - 14	الزمان المغربي	حالات
11	2015	يناير	1	رسائل الشعر	أشخاص
27	2016	نوفمبر	1	الشارقة الثقافية	شذرات
108	1977	مارس	6	الفكر	عن يسار التعاليم
35	1995	يناير	1	فضاءات مغربية	قرامطة

غمار اتجاهات أدبية مختلفة ، فقد كتب الشاعر القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة وقصيدة النثر والمسرح الشعري والشذرات الشعرية ذات النكهة الصوفية. كما أن تجربته الشعرية الغنية، عرفت عدة اتجاهات، فقد كتب الشعر الرومانسي والشعر الوطني القومي ، والشعر التأملي والشعر الصوفي مستفيداً من التجارب الشعرية البانخة عند جلال الدين الرومي وفريد الدين العطار وابن عربي وابن الفارض...

كان هدفنا من هذه الدراسة التي تم الإقتصار فيها على رصد قصائده المنشورة في المجلات المغربية والعربية المختلفة ما يلي:

1 - لفت النظر إلى النهضة الأدبية المزدهرة في مجال الصحافة الأدبية التي كانت تعرفها منطقة الشمال (المنطقة الخلفية) في عهد الحماية وبداية عهد الاستقلال، وذلك من خلال المطبوعات والمجلات الأدبية المتعددة التي كانت تصدر بشكل منتظم في تلك المرحلة. وكان الشاعر عبدالكريم الطبال من فرسان الكتابة فيها ، خاصة مجلة « الأنيس ».

2 - إثارة الانتباه إلى حضور الأدباء والشعراء المغاربة في أهم المنابر الثقافية والأدبية المشرقية، مؤكداً نزعة المغاربة إلى التواصل الثقافي والأدبي بين المغرب والمشرق.

3 - تأكيد نشاط الشاعر الدؤوب في مجال النشر في المجلات المغربية والعربية المتعددة ، ومدى حرصه على الحضور المستمر في المشهد الشعري مغربياً وعربياً. وتتبدى رغبة الشاعر عبد الكريم الطبال المكيئة في إثبات هذا الحضور في نشره الدائم لما يجيش به خاطره من كلام شعري يقطر جمالا وشاعرية ويمتلئ بالتأملات في الحياة والوجود في بعض المواقع الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي إلى اليوم . فالشاعر يتنفس الشعر كما يتنفس الأكسجين الذي لا حياة للإنسان بدونه.

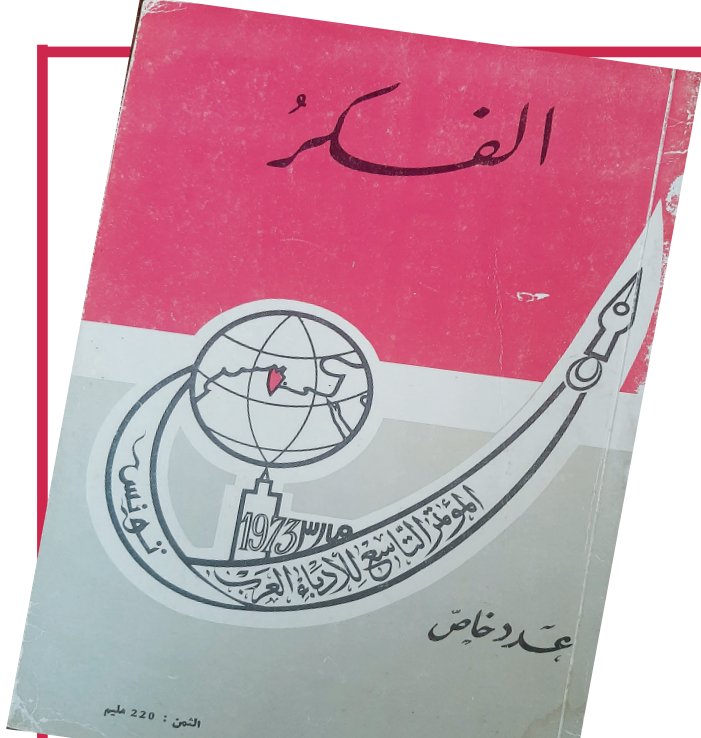
ويذكر الشاعر أن أول قصيدة نشرت له - وهو ما زال تلميذاً بمدسة الصُفارين بفاس تحت عنوان « كيف أبتسم ؟ (سنة 1948)، وذلك في مجلة « الثريا »، وهي مجلة كانت تُصدرها الإذاعة الوطنية. يقول: « ولا أنسى الوقع الذي أحدثه النشر في نفسي ، فقد كدت أطيّر فرحاً وأتية زهواً في ساحة مدرسة الصُفارين. أحسست معه كاني ملكت كل شيء وأن الحياة في قبضة الكف، وإن كان هذا الشعور ما لبث أن توارى.» (5)

وكان أول ديوان صدر للشاعر هو « الطريق إلى الإنسان » سنة 1971، ثم توالى إصداراته الشعرية التي أغنت المكتبة الشعرية المغربية، نذكرها هنا جلها ليطلع عليها الجيل الحالي والأجيال اللاحقة، وهي التالية:

« الأشياء المنكسرة » (1974)؛ « البستان » (1988)؛ « عابر سبيل » (1993)؛ « آخر المساء » (1994)؛ « شجر البياض » (1995)؛ « لوحات مائية » (1997)؛ « القبض على الماء » (1996)؛ « كتاب العناية » (1997)؛ « ضمن مجلة المشكاة »، وحدة، عدد 26 ، السنة 26 (1997)؛ « بعد الجلبة » (1998)؛ « سيرة الصبا » (2000)؛ « على عتبة البحر » (2000)؛ « الأعمال الكاملة » (2001)؛ «نمنمات» (2015)؛ «حديقة صغيرة» (2015)؛ « في حضرة مولانا » (2018)؛ « باب البحر » (2021)؛ بالإضافة إلى دواوين أخرى غير مؤرخة : « في قارب واحد » و« أيها البراق » طبع سليكي أخوين طنجة، والوردة فوق الأرض « ماي (2021) . من خلال هذه الأمثلة والشواهد ، وهذا المسير الطويل في اقتراف الشعر ، يتبدى لنا امتداد هذه التجربة الشعرية في الزمان من سنوات الخمسين من القرن الماضي إلى العقدين الأخيرين من الألفية الثالثة ، بل وإلى حد كتابة هذه السطور ، حيث ينشر الشاعر شذرات شعرية بصفة دائمة تقريباً في المواقع الإلكترونية وفي بعض وسائل التواصل الاجتماعي. وخلال هذه الرحلة الإبداعية الطويلة الغنية، عرفت تجربته تطوراً سواء من حيث الكم أو من حيث تطورها الفني والجمالي ، وتجريب صاحبها أشكالاً شعرية متنوعة ، وخوضه

عبدالكريم الطبال

المشكاة الأشياء شعر





أبو يوسف طه

فَزْرًا ... ولدت أربع
هَرِيرَات، باتت
منشغلة بأمانها،
كل مرة تلتقطها
تباعا لوقايتها مما
تحسه من خطر
متوقع. شاق أن
تدراً عنا مضايقة
الفئران بصيدها
والتهامها
وتعنى بصغارها
وتحرص على
حمايتهم، حين

في البداية، سارعت إلى إمدادها بصحن به حليب،
وضّعت على مبعده، سارت نحوه متمهلة ثم بدأت
تلطع بنهم، دنوت منها وبنعومة مرّرت راحتي على
متنها، بدت مستسلمة، في حاجة إلى ملاطفة. حقيقة
تستأهل ذلك فهي جميلة بهيئتها، ولون فروتها الأصفر
الخطوط المتخلّلة بخطوط باهتة من ذات اللون تشبه

قطّة مكسيم غوركي

بعد جني الفول يبست بقاياها في الحقل، فجأة
امتلأت الأتحاء بالجحور، تداعت الفئران لتخزين
مؤونة وافرة، مقرف أن نجد برازها هنا وهناك في
حجرات المنزل. لم أكن شغلت المحرك ذا المدخنة
القصيرة التي تباطأت في إتمامها بقطعة
إضافية ومدّها من النافذة خارج بيت
المحرك تخلصا من رائحة الغاز. الفئران
من الذكاء بحيث تجنبت أكل لباب الخبز،
والإشتباك في الفخ المعدني، والعلوق في
اللصاق. أمر غريب حيرني، ربما كونها
على شبع

في منتصف يوم شديد البرودة والفصل
شتاء ظهرت في الحقل قطّة حبلي، شاردة،
تسير ثم تقف، تلتفت يمينا ويسارا
كأنها تبحث عن شيء ما، توجست مني

قصة

شغلت المحرك فوجئت به كرشاش يقذف حبات الفول
المخزّنة، هذا سر مرابطة القطّة هناك .
في صباح يوم غائم بدأ نثيث المطر وسرعان ما انهار
السد السماوي، لم يعد الإمطار خيوطا تتدلى أو نقطا
تتراقص بل سيلا جارفا يسحب ويغرق كل
شيء. سارعت القطّة، قبلا، مذعورة نحو
مأوى هريراتها، بدأت تمسك بفمها واحدة
لكن الماء المندفَع أسقطها وحرف السرير.
جازفت القطّة بعملية إنقاذ غير أن الحقل
غدا، كما أراه من النافذة، بحيرة كبيرة
يتثنى ماؤها الهادر، يتعذر الخوض فيها،
رغم ذلك أصرت الأم على التحدي بدافع
فيض هائل من غريزة الأمومة، تغالب
الفيضان بفيضان أمومي معاكس لكن
قوة التيار ساقتها إلى موت محقق.

ضربة عين

لا أخفي عنك صديقي أنني كنت في
يفاعتي رشيقا، أبيض البشرة، ذا شعر
ناعم مسدول على كتفي تأثرا بالهيبين
الذين غمروا مراکش في السبعينيات،
صلة العديد من الشباب بهم قوية،
بوهيميتهم مغوية، فتياهم المغويات
كن عنصر جذب لانفتاحهن وإباحيتهن.
أخذنا عن هؤلاء المتمردين شكل اللباس،
وبعضنا ابتلي بالحشيش.

كنت أرتدي قميصا ماويا (اقتداء
بماوتسي تونغ)، أزرق سماوي بأزرار
مذهبة، وحذاء عالي الرقبة ... بهذا
اللباس ذهبت والأسرة لزيارة عمي، في
ظهيرة أحد الأيام خرجنا إلى البراح، أنا
وأمي ونساء دار عمي وأطفالهن. أغراني
حصان في ملكية والدي، ذهبي اللون،
امتطيته فأنطلق يعدو بي بسرعة عجيبة
أفزعتني، فكرت في سقوط عمدي تجنبا
لما لا تحمد عقباه لكنه توقف فجأة ورمح،
ثم شرع يقاوم شدّي للرسن برفع وإنزال
رأسه في تناوب سريع، وإمالة عنقه يمينا
وشمالا. بدأت أفقد السيطرة عليه بشكل
كامل حين اختل توازني غير أنه التوى
على بعضه ثم تقافز وانطلق كالسهم
محاذيا سورا من أشجار الصبّار، اقتنعت
بانني ساقط فوقه، لكنه هدأ ووقف في
لامبالاة كأن لم يفعل شيئا بل اكتفى بأن
سهل ثم نخر، وساد الصمت. تضاعف
خفقان قلبي. أمي التي ظلت متكئمة،
عزت ما وقع لإحدى النساء، فما حاق بي
ضربة عين المرأة التي قالت حين امتطائي
الحصان «إنه يشبه الكارد فورستي» .
بدت أمي الممتقعة اللون، المخلوبة اللب،
مغتاظة وهي تبسمل، هكذا يختلط الوهم
بالحقيقة لتكوين عقيدة!



لوحة «القطّة الزرقاء» بريشة الفنانة البرتغالية دورا هانايزي ميندين



عمر الحسري

قَلْبَ رَكِيكَ
لَمْ يَعُدَّ يَخْفُقُ
لِلْمَسَاءَاتِ الشَّاحِبَةِ
وَدَاعَا

بَايَ بَايَ

وَدَاعَا

أَيْتَهَا الْقِطْعَةُ الْمُبْتَلَّةُ

وَدَاعَا

أَيْتَهَا الْقِطْعَةُ الَّتِي تَبَوَّأَتْ عَلَيْهَا قِطْعَةُ أُخْرَى

وَدَاعَا

أَيْهَا الزَّمَنُ

الَّذِي لَا يَعْرِفُ مَنْ هُوَ « فِيلِيْبُ دِيكُ » *
صَانِعُ الْأَحْلَامِ الصُّوْنِيَّةِ لِلْبَأْسِينِ .

بَعْدَ الْيَوْمِ

لَا أُرِيدُ سِوَى حَيَاةٍ عَادِيَّةٍ

أَنْ أُسِيرَ فِي طُرُقٍ غَيْرِ شَاقَّةٍ

أَنْ أَمْضِيَ

وَأَنْ أَرَى نَفْسِي مِنْ بَعِيدٍ

كَشَبْحٍ

يَقُولُ لِي : بَايَ بَايَ

أَنْ أَمْضِيَ

إِلَى زُقَاقِ هَزِيلٍ فِي السَّمَاءِ

أَنْ أُغْلِقَ الْأَسَى

وَأَفْتَحَ نَفْسِي كَمِظَلَّةٍ

تَعَبْتُ مِنَ الْإِقَامَةِ

طَوَالَ الْوَقْتِ

مَعَ هَذَا الْحَيَوَانَ الْغَامِضِ

مَعَ هَذَا الْحَيَوَانَ الْغَامِضِ

الَّذِي يَلْتَهُمْ حَيَاتِي

بِأَسْنَانِ مَعْدِنِيَّةٍ

أُرِيدُ كَلْبًا

لَا أَحِبُّهُ

كَيْ يَأْحَسَ كُلَّ يَوْمٍ أَخْطَائِي

الصَّائِبَةَ .

وَرَدَّتَيْنِ
نُجُومٌ تَمُوتُ لَوْحَدَهَا
لَوْحَدَهَا هُنَاكَ .

وَدَاعَاتٌ لَا تَكْتَرُثُ لِلْقَطَارَاتِ السَّرِيعَةِ
قَلْبٌ

الاقامة مع حيوان غامض



من الأعمال السورية للحنّاة الكندية إيلين جيويت

هَلْ أَنْتَ
قَادِرٌ
عَلَى صُنْعِ أَدَبِيَّتِكَ الصَّغِيرَةِ
بِبَعْضِ

مَنْ سَاعَاتِ جَسَدِكَ الْهَارِبِ

أَبْمَقْدُورِكَ

أَنْ تَخُونَ الْمَاءَ

خِيَانَةَ عُظْمِي

لَوْ بَعْتُ

حِصَّتَكَ الْخَاصَّةَ

مَنْ اللَّانِهَائِي

مَا دَامَ غَيْرُكَ

يَتَأَهَّبُ لِنِغَابَةِ أُخْرَى .

لَا تَبْعَثُ

لَا تَبْعَثُ تِلْكَ الرِّسَالَةَ الْغَامِضَةَ

إِلَى الْمَرَاةِ

إِلَى الْمَرَاةِ الَّتِي تَعِيشُ

مَعَ التَّنِينِ

تَعِيشُ مَعَ التَّنِينِ

الْحَزِينِ

وَحَدَهَا

وَحَدَهَا تِلْكَ الْحَمَقَاءُ

تُصْنَعِي وَحَدَهَا

إِلَى طَيْفِهَا الْكَسِيرِ

وَحَدَهَا

وَحَدَهَا

تَشْرُقُ بِالضَّغِينَةِ

وَحَدَهَا

تَجْعَلُ الرُّوحَ ضَيْقَةً

ضَيْقَةً جَدًّا

عَاجِزَةً

عَاجِزَةً تَمَامًا

عَنْ تَعْلِيلِ الْوُجُودِ

إِنَّهَا كَلِمَاتٌ مَهْدُورَةٌ

كَلِمَاتٌ

لَا تُصْنَعِي إِلَيَّ نَفْسَهَا

شَمْسٌ هَزِيلَةٌ

صَمَّتْ ذَائِبٌ بَيْنَ

(*) فيليب كيندر ديك (1928-1982)
روائي أمريكي وكاتب قصص الخيال
العلمي.



د. محمد حبوب

باعتبارها كتابة قائمة على الجراة، فهي تقتحم ساحة الصراع السياسي والاجتماعي والإيديولوجي معبرة بنفس ثوري عن قضايا المجتمع، ساعة الى استكناه الواقع، ومحاولة ضبط سيرورة وآليات اشتغاله.

مما يجعل الممارسة المسرحية مشروعاً مفتوحاً يستهدف تجاوز حالة الثبات والتخلف لصياغة مشروع حداثي. فالكتابة تمثل لدى الرجل التزاماً وفعلاً نضالياً، وممارسة جمالية واعية. ذلك أن الوعي بالشروط التاريخية والاجتماعية ليس كافياً، فهو في حاجة إلى وعي جمالي قائم على الخرق، وتحطيم المألوف والعادي والثورة على سلطة النموذج والجاهز². لذلك تنزع تجربة احدادو إلى الرفض للساند والمبتذل والتمرد على الكائن، واستشراف لما هو ممكن وأرحب³. فقد انخرط رضوان احدادو في مغامرة التحطيم والتغيير استناداً إلى وعي تجريبي، مما دفع الناقد خالد أمين إلى اعتبار هذا النوع من المسرح طلائعياً وتجريبياً بامتياز، مسرح مهووس بشتى أشكال الرفض والتمرد على التقاليد المسرحية المهيمنة⁴. وإذا كان الوعي بالمغايرة والنزوع إلى التجاوز سمة طبعت الكتابة لدى رضوان احدادو، مما جعل الدكتور خالد أمين يصنف تجربته في خانة الطلائعية، فإن الدكتور عبد الكريم برشيد يقرأ التجربة من زاوية انتماء الكاتب إلى التيار الاحتفالي معتبراً أن مسرحه يندرج ضمن خانة المسرح الإنساني، وهو مسرح ينبثق من الجزء إلى الكل من البسيط إلى المركب ومن المحلي إلى العالمي ومن اليومي إلى التاريخي ومن الواقعي إلى الأسطوري⁵.

وعليه، فإن تجربة رضوان احدادو تجسد حصيلة معرفة عميقة بأسرار الصناعة المسرحية، وهي من جهة أخرى وليدة ارتباطه بمحيطه وتجربته المعيشية. فقد جاور الرجل رجالاً عظاماً من طينة عبد الخالق الطريس وتأثر به، وعائش الأستاذ العربي المساري، وتأثر بفكر علال الفاسي. وبذلك، استطاع أن يشكل شخصيته المبدعة التي قادته إلى الانخراط في الفعل السياسي بصفاء الفكر، ورهافة الفنان، ومبادئ وقناعات المثقف الأديب. وهذه القناعات دفعته إلى إعادة الاعتبار لرجالات الفن والفكر والسياسة بالشمال مؤرخاً موسوعياً للظاهرة المسرحية والأدبية ولرجالات الفن والإبداع والسياسة بالشمال. وفي سياق ذلك، أصدر كتابه الرائد عن التجربة المسرحية لعبد الخالق الطريس، ذلك الرجل الوطني الصادق رهيف الإحساس، الممارس للكتابة المسرحية، التي وظفها في خدمة الوطنية والالتزام الوجدوي ضد النزوع الاستعماري الانفصالي. كما أرخ رضوان لشخصيات ورموز إبداعية أثرت الحركة المسرحية بالشمال مثل ثريا حسن 2005 ومحمد الدحروش 2006 ومحمد النشاش 2009. هذا فضلاً عن تأريخه للحركة المسرحية المغربية المعاصرة، مبرزا في الآن ذاته مكانة تطوان باعتبارها معلمة تاريخية مغربية حاضنة للمسرح منذ 1860. وهكذا فإن رضوان احدادو المتعدد الانتماءات، على حد تعبير برشيد 6، فهو التطواني، والموريسكي، والأمازيغي... تشعب بروح الحضارة المتوسطية ذات النفحة الأندلسية. وذلك لأن الرجل منغمس في جغرافية الفضاء مضمخ بأريج المكان⁷. ولعل وفاءه لهذا الفضاء الحضاري دفعه إلى ركوب مغامرة التأريخ والتوثيق ساعياً إلى ترميم الذاكرة المسرحية المشروخة، واستعادة وهج الإبداع الركني بالشمال ضداً على نزوعات التهميش والتغيب. وقد ركب هذه المغامرة متسلحاً بزيادة أساسه العشق للمسرح، ورصيده في ذلك ثقافته المسرحية العميقة والواسعة، وخلفيته المنهجية التي اكتسبها من تفرسه في الكتابة الدرامية، والتقصي في المجال الواسع للمسرح. هذا فضلاً عن اعتزازه بالانتماء إلى هذا الفضاء الذي يحمل عبق التاريخ، ويخترن موروثاً

المدينة الفاضلة) و (زمن مضى ولم يمض) والبحث عن متغيب) و (الحافلة رقم3) و (طارق الذي لم يعبر) و(المتنبي يخطئ زمنه) و(الباب والرأس) و(تيرينا والملاك الصغير) وانتهاء وليس نهاية ب (المشاء أو الأراجيح تخلق عالياً)، وغيرها من المسرحيات التي تربو عن الأربعين مسرحية يحضر مبدع متميز جدير

رضوان احدادو في تعدديته

من الكتابة الدرامية إلى التأريخ للحركة المسرحية بالشمال

بصفته واسمه يفرض علينا التقدير، ويجسد النبوغ المغربي في تجلياته ومظاهره البارزة، وأبعاده الحدائنية والتجديدية التي منححت للهوية المسرحية قيمتها ومكانتها على المستوى الفكري والجمالي. لقد أسس المبدع رضوان احدادو مع ثلة من المبدعين الهوية على قاعدة الفعل النضالي والممارسة الجمالية الواعية، وأرسى دعائم كتابة مغايرة، تفجر القوالب الجاهزة والأنماط المستهلكة، وتبني نصاً حداثياً درامياً يرشح ببلاغته اللغوية وجماليته الركنية، يعب من التراث بخصوصيته وأصالته، وينفتح، في الآن ذاته، على الصيغ والطرائق الجمالية الحديثة. كما يتحصن بمرجعياته الاحتفالية التي تشكل الخلفية النظرية التي ترفد وعي الكاتب وتثري ممارسته الجمالية.

كل ذلك، جعل رضوان احدادو يمتلك حساً فنياً متميزاً ورؤية عميقة قائمة على استكشاف الواقع وقراءته، وإعادة إنتاجه وفق منظور مركب يزاوج بين الخصوصيات الجمالية والانفتاح على الشرط الاجتماعي.

والواقع أن تجربة الأستاذ رضوان احدادو تبدو مرتبطة ارتباطاً عضوياً بسيرورة تشكل الممارسة المسرحية المغربية، تساقوق هذه التجربة وتتصادى معها، وترسم ملامح تطورها وحدود تمثلها للواقع. ومن ثم، فإن الكتابة الدرامية لدى هذا الكاتب المبدع جاءت موصولة بالتحولات الاجتماعية، وتطور الأنساق الجمالية للمسرح، مما أسس لتجربة غنية تزاوج بين الفعل النضالي، وسيرورة الانتهاك والخرق بما هو سلوك إبداعي فني. وإذا كانت تجربة احدادو تتصادى مع الواقع، وتعكس خصوصية المرحلة ومتغيراتها، فإن ذلك لا يعني اكتفاءها برسم ملامح الواقع واستنساخه، بل إنها كتابة تقوم على تثير الشكل والمضمون، حيث يصنفها الدكتور خالد أمين ضمن خانة الكتابة الطلائعية

لا يمكن الحديث عن مسار وسيرورة المسرح المغربي تالياً وبحثاً دون استحضار شخصية رضوان احدادو بتجربته الزاهرة والثرية، فهو يمثل بالنظر إلى خصوبة عطائه وقيمة إبداعه، وعمق أبحاثه وتنظيراته تلخيصاً وتكثيفاً لتاريخ المسرح المغربي، وعلامة مضيئة من علامات المسرح بمنطقة الشمال. لقد وسم الرجل المسرح في الشمال بسمات هي الوشم على الجسد أو الحفر على الرخام، كما يقول برشيد، إنه رجل متعدد المواهب والكفايات ومتنوع العطاء. فقد كتب القصة القصيرة، والمقالة النقدية، وأرخ للمسرح، ونظر للفعل المسرحي منخرطاً في إثراء النظرية الاحتفالية، وتعميق تصوراتها ورؤيتها للعمل الدرامي باحثاً عن صيغة جمالية درامية عربية تنزاح عن الصيغة الجمالية الغربية.

غير أن الرجل يبقى رمزا كبيراً من رموز الإبداع في مجال الكتابة الدرامية خاصة، حيث راكم رصيداً جمالياً مميّزاً، ودخيرة أثرت المكتسب الفني والرصيد المغربي. ويكفي الرجوع إلى ريبورتواره المسرحي لاستكشاف هذا الثراء كما وكيفا، فانطلاقاً

من نصه المسرحي (الأرض والزيتون) مروراً بنص (في انتظار زمن الجنون) و (اهل)

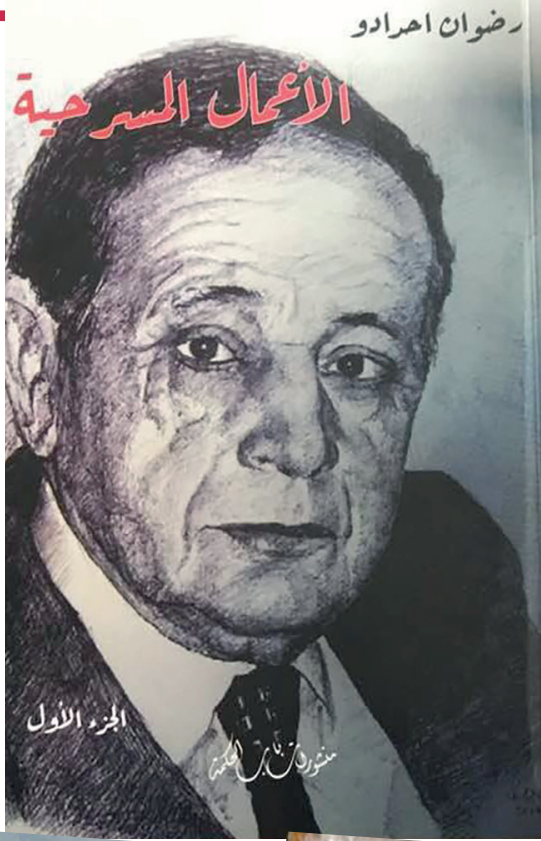


المغامرة التاريخية لرضوان احدادو، التي استهدفت انتشارا ذاكرة الشمال المسرحية من النسيان والتهميش، تحولت إلى فتوحات قادت إلى تفجير مفاجآت عصفت بمجموعة من اليقينيّات التي ترسخت في التاريخ المسرحي المغربي، منها اعتبار المسرح فنا طارئا دخل إلى المغرب في عشرينيات القرن الماضي، حيث على وقف على وجود فعلي للممارسة المسرحية بالشمال منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وتحديدًا سنة 1860، وذلك ينم عن عراقة هذا الفن، وامتداده عميقا في التاريخ المغربي، ومن ثم فإن التاريخ للذاكرة المسرحية للشمال لا ينفصل عن التاريخ للذاكرة المسرحية المغربية الجماعية. لذلك يدعو المؤرخ المسرحي رضوان احدادو إلى إعادة صياغة التاريخ المغربي من زاوية التعدد الذي يفضي حتما إلى التكامل، وذلك باعتماد منهجية التأريخ الجهوي، حيث أن المدخل لتأريخ شامل للفعل المسرحي لبلادنا يمر، في تقديره، عبر البحث والتنقيب في تاريخ المنجز المحلي في سياق بناء تاريخ شمولي للمسرح المغربي.

مجمل القول أنه يمكن تلخيص سيرة رضوان احدادو في عبارة مركزة وجامعة إنه «مفرد في صيغة الجمع»، فهو كاتب درامي متمرس، ومؤرخ مسرحي عميق المعرفة وواسع الاطلاع، ومنظر مسرحي احتفالي عارف بأسرار الركب وخبابا الفرجة، وهو السياسي المتشعب بالقيم التعادلية النبيلة التي تشربها من رواد الحركة الوطنية وزعمائها الأقداد كعبد الخالق الطريس وعلال الفاسي، وتجسدت في سلوكياته وقناعاته وإبداعه. فتحية تقدير وإجلال لكاتب أعطى فأجزل، وأبدع فأثقل، وناضل من أجل ترسيخ القيم النبيلة والإبداع الأصيل الراقي، تحية للمبدع رضوان احدادو.

هوامش:

- 1- محمد محبوب «المسرح المغربي أسئلة ورهانات» الطبعة الأولى غشت 2011 مطبعة لورانجي.
- 2- مشروع بلقاصيري ص 110 نفسه ص 90
- 3- خالد أمين «الحافلة رقم 3 والجسد المسرحي المعطل، قراءة في النص الاحتفالي للرائد رضوان احدادو» ضمن كتاب «اليوم التكريمي للمبدع المسرحي رضوان احدادو» تأليف جماعة من الأساتذة.
- 4- الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة المسرح الأدبي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ص 82.
- 5- نفسه ص 82
- 6- عبد الكريم برشيد «رضوان احدادو، والبحث عن المدينة الفاضلة» ضمن كتاب «اليوم التكريمي للمبدع المسرحي رضوان احدادو» ص 32.
- 7- نفسه ص 30
- 8- محمد العربي المساري «رضوان احدادو مؤرخ للظاهرة المسرحية بالمغرب» ضمن كتاب «اليوم التكريمي للمبدع المسرحي رضوان احدادو» ص 15.



رضوان احدادو

الأعمال المسرحية

ثقافيا وحضاريا زاخرا يعكس تلاقح الثقافات وتنوعها في المشهد التطواني والشمال عامة، ما بين ثقافة عربية ذات جذور مشرقية، وأخرى أندلسية مورييسكية، وثالثة أمازيغية، مما شكل حافزا أساسيا للتنقيب والبحث في تاريخ المسرح بالشمال، رغم غياب الدعم المؤسسي الذي يحول الفعل التاريخي من مبادرة فردية معزولة ومحدودة التأثير إلى مشروع حضاري طموح يرمي إلى بناء الذاكرة المسرحية والثقافية عامة، وإعادة صياغة التاريخ المسرحي المغربي على أسس علمية بأدوات منهجية تقوم على التوثيق العلمي الدقيق من خلال الاستعانة بالوثائق الخطية، والشهادات الواصفة للعروض المسرحية، ومجمل الأنشطة ذات الطابع المسرحي التي شهدتها مدن الشمال وبقية المدن المغربية خلال المراحل الأولى لتشكيل وظهور فن الخشبية ببلادنا. وقد نجم عن النباش في ذاكرة المسرح بالشمال إضاءة جزء هام من تاريخنا المسرحي، وتسليط الضوء على جهود الرعيل الأول من المسرحيين بمنطقة الشمال الذين خاضوا معركة التأسيس للفعل المسرحي، وما رافقها من صعوبات وإكراهات تترتد إلى غياب مرجعية صلبة في مجال الثقافة المسرحية في تلك المرحلة التأسيسية، وانعدام الموروث المسرحي المتكامل باستثناء أشكال فرجوية لا تحمل في أغلبها صفة الممارسة الدرامية المتكاملة والواعية بأبعادها التمسرحية ودلالاتها الفنية.

ورغم هذه العوائق والإكراهات فقد أصر هذا الجيل على استنبات صيغة مسرحية مغربية تمزج بين الصيغة الدرامية الغربية من جهة، والبعد الوظيفي للفعل الدرامي، حيث زواج الرواد المؤسسون بين جمالية العرض المسرحي والدلالة النضالية التي تحول الممارسة الدرامية من أبعادها الترفيهية البسيطة إلى وظيفة التوعية والتحريض في سياق التجاوب مع طبيعة المرحلة التي اتسمت بالتسلط الاستعماري، الذي حاول الإجهاز على الهوية والإنسية المغربية.

وقد جاءت حفريات رضوان احدادو في ذاكرة المسرح بالشمال محكومة بهذه الشروط، لكنها اتسمت بالجدية والاجتهاد والعمق، وذلك بالنظر إلى نزوع الفعل التاريخي إلى القراءة التحليلية التي تمنح للعمل التوثيقي دلالة ثقافية وطابعه الفني والأدبي في مناخ تأسيسي مشبع بالروح الوطنية، والإحساس بالانتماء، والاعتزاز بالهوية والكيونة، مما جعل الفعل التأسيسي مقرونا بالوعي الوطني الذي دفع رواد الحركة الوطنية إلى استخدام النشاط المسرحي واجهة نضالية ضد المستعمر وأذنايه.

ولاشك أن





عبد الإله غاوش

المنحى الفلسفي

والقرويين

والأطفال الذين يرغبون في أن

يصبحوا أنبياء عندما يصبحون كبارا، فإن فيها بوادر أسلوب الكاتب في المجموعة الحالية «الخرسان». إن كل مرحلة من المراحل، حسب اعتقادنا، تحمل داخل زحمتها على شكل خطوط باهتة، خطاطات، أو أشكال شبيهة، وجه المرحلة القادمة. وهو وجه يتشكل في الخفاء، مثل نبات يكبر في غفلة من الأعين: أي في لاوعي الكاتب. وهذه المسألة وقفنا عليه خصوصا في القصتين الأخيرتين من مجموعة «كلاب السوق»، وهما «الأعمى في العتمة» و«بوذا المغربي». إذ أنهما تعلقنا بشكل واضح عن توجه الكاتب إلى شكل آخر في الكتابة، وهو ما أطلقنا عليه، «الشخصية الإنشطارية»، وهي الشخصية التي تعيش لحظة أزمة هوياتية حادة، ممزقة بتوقها إلى الإرادة والحرية بمعناهما الفلسفي، في أفق مغلق تسد مشهده القائم ثقافة الاستهلاك التسطحية التي يدينها الكاتب بشدة في قصص كثيرة، ولكن العطش إلى الحرية والتوق إلى الانعتاق من الاختناق الروحي غالبا ما يضطدم بجدار التزمت الديني، ما يقود شخصيات كثيرة في المجموعتين إلى الدخول في أبعاد هذيانية/حلمية/جنونية، من هنا انشطاريتها وفصاميتها الناتجة عن مشكل الهوية المؤرق. ولعل قصة «بوذا المغربي» مثال صارخ لكونها مسكونة بسؤال الهوية المؤرق هذا، رغم أن التناول كان عن طريق التهكم والسخرية، بل إن الكاتب، من أجل رسم الشخصيات، استعان بالغروتيسك le grotesque بحيث أن الشخصيات تبدو، من منظور الشخصية الرئيسية يوسف أشبه بدمى مضحكة، وهو نفسه يقع في أبعاد كوميدية تلامس الجنون في بعض الأحيان، لسقوطه في مفارقات لا شفاء منها. نماذج من المرحلة الأولى التي ساد فيها الملمح الهامشي؛ ننقل إلى بعد أن قدمنا

الملمح الذي يطبع المرحلة الثانية التي رصدنا وجودها في المجموعة الحالية «الخرسان»، وهو الذي نطلق عليه الملمح الفلسفي، والذي تشكل الشخصية الانشطارية أحد عناصره، وهو طاغي بشكل واضح على عوالم مجموعة «الخرسان»؛ وقد أترنا التطرق إلى قصتين من المجموعة دون غيرهما.

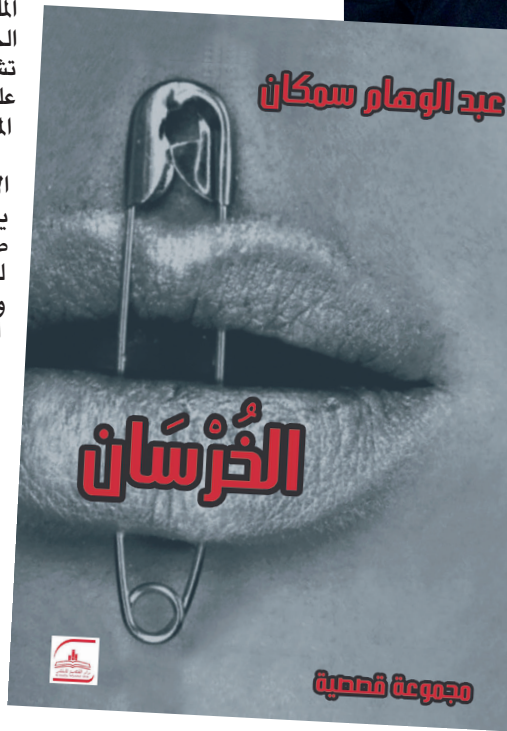
يفتح القاص مجموعته هذه بقصة تحمل عنوان «بلسان الأخرس الأخير»، وهي قصة ذات أبعاد فلسفية واضحة، بحيث يشغل سؤال الوجود صلبها. ثمة شخصية ورقية تحاول الخروج عن طاعة الكاتب/الخالق، وهنا تبدو الاستعارة واضحة، فالكائن الورقي ليس إلا الإنسان بكل قلقه وتسأله الحارق عن معنى وجوده، معنى ولادته في عالم يظهر غريبا منذ بداية وعيه بوجوده. يقول البطل الورقي متسائلا، في الصفحة الثامنة من المجموعة: "ثم أنظر حولي وأكتشف شساعة العالم، أنا الذي ولدت في لحظة انتشاء، وقضيت لحظاتي الأولى في عتمة الجيب - هل الجيب هنا رمز للرحم بشكل من الأشكال؟ - أنظر إلى الأشياء باندهاش وأمسها. أشم الروائح وأسمع الأصوات، أتأمل في كل ما حولي ثم أتساءل ما إذا كانت هذه الأشياء موجودة حقا أم أنها مجرد أوهام وتخيلات عابرة". إن الكاتب هنا خالق إذن، إذ يقول مخاطبا الشخصية الورقية المنمردة: "أنت مني، من صلبني، من خلقي، ولا يلبق بخالق ألا يسامح..".

وفي الصفحة الثامنة يزيد القاص الجرعة، ويستعمل معجما ذا بعد ديني واضح، ضمن إطار الثقافة الإسلامية بطبيعة الحال، من أجل نحت الدلالة الوجودية لطبيعة شخصيتي القصة الرئيسيتين "أنت السبب أيها المرتد"، وفي الصفحة التاسعة: "سامحني ياخالقي لقد كنت من الضالين"، بحيث لا تخفى الحمولة الدينية لهذه الكلمات. كما أن العتمة الأولى، وهي الاقتباس الذي صدر به الكاتب قصته «بلسان الأخرس الأخير»، كانت فضحا أكثر منه مدخلا. إنه اقتباس يسحب القارئ سحباً نحو الدلالة التي لا فرار منها، والتي تتمثل في مقولة جوفاني بيكو ديلاميرانديلا، الفيلسوف الإيطالي ذو النزعة الإنسانية الذي يضع الكرامة والحرية في المركز من فلسفته، موضحا أن الله خلق الإنسان ليس على شاكلة محددة سلفا، ولكن جعل له عقلا وإرادة يأخذانه وبهما يهتدي إلى حيث يشاء؛ إذ أن الإله، كما في الاقتباس المذكور: "خلق

الإنسان وخاطبه: لقد حكمنا طبيعة المخلوقات الأخرى بقوانين سطرناها تسطيرا، أما أنت فلا تحديد يحدك، ووحدها بصيرتك بوسعها أن تحدد طبيعتك".

أما قصة «الوجود متفردا»، آخر قصة في المجموعة، فهي تشكل تنوعا آخر على تيمة التحرر، التي كانت تشغل بال شخصية قصة «بلسان الأخرس الأخير». إن يوسف الفن، بطل «الوجود متفردا»، يسعى لكي يكون متحررا من الآخرين الذين يهيمنون على وجه البسيطة بلا إرادة وبلا تطلع للحرية، كما عبر عنهم جوفاني بيكو بقوله: "لقد حكمنا طبيعة المخلوقات الأخرى بقوانين سطرناها تسطيرا..". يسعى يوسف الفن طيلة مراحل القصة إلى التحرر من ربة القوانين المسطرة تسطيرا، ولا يريد أن يكون ثمة تحديد يحده. إنه يرتهن إلى بصيرته، ولكن هيفات، فسيل الوجود المتكرر - لاحظ أن التكرار هو الصفة الأساسية للتسليع - جارف؛ ولا يبدو أن يوسف الفن استطاع الوقوف في وجهه، بعد ليالي هذيان وحمى، وهو يسعى في أثر عطر امرأة رآها في أحد أحلامه، وفي الآن نفسه يقف عاجزا عن الإبداع، أمام قماش لوحته الفارغ إلا من تصورات هذيانة تغزو خياله على شكل تهبوات وهلاوس. ثم في النهاية يخسر يوسف الفن الرهان، على ما يبدو، في معركة الإرادة والحرية، كما يحصل لأغلب شخصيات عبد الوهام سمكان في مجموعتيه القصصيتين معا.

كاتب مغربي مقيم في إيطاليا



في مجموعة «الخرسان» القصصية لعبد الوهام سمكان

إن من يخبّر عن قرب تجربة عبد الوهام سمكان في الإبداع الأدبي لابد أن ينتبه إلى أن هذا الكاتب قد مرّ من مرحلتين أساسيتين عبر كتبه المنشورة لحد الآن، والتي تشكل المجموعة القصصية «الخرسان» ثالثها، أما الكتابان الأخران فهما المجموعة القصصية «كلاب السوق» الصادرة سنة 2008 ورواية «أدم الذي رأى» سنة 2012؛ فما الذي يميز هاتين المرحلتين، إذن، في تجربة عبد الوهام سمكان الإبداعية؟

يمكننا القول إن ما ميز بدايات عبد الوهام سمكان هو المنحى من العوالم الهامشية السفلية في المجتمع، بقصص شخصياتها أتية من رحم المكابدة والكبح، للذين طبعاً حياة الكاتب في تلك الفترة من سيرته المليئة بالمصاعب والأزمات، ما جعل ذلك يتجلى في شخصيات أقل ما يمكن قوله بإزائها هو أنها تواجه مصائرهما داخل واقع رث طاحن، ويتجلى ذلك أيضا في توظيف لغة تضع كل غنائية شعورية جانبا وهي تصف عالما مبتذلا، وفي هذا الإطار نستحضر عنوان المجموعة الأولى «كلاب السوق»، حيث إنه ليس عنوانا لقصة داخل هذه المجموعة، وإنما هو عنوان للطابع المهيمن على أجواء القصص كلها، المأهولة بالباعثة المتجولين وأعوان السلطة القساة، وسكان المدن الهامشية، والقرويين.. إلخ؛ وإننا فإن هذا الملمح هو الذي يشكل عصب المرحلة الأولى ويغطي على عوالم معظم قصصها وشخصياتها.

في قصة «الأعمى في العتمة» يقول السارد: "كنت مستلقيا على السرير الوحيد في غرفتي السطحية" ثم يواصل قائلا: "قبل منتصف الليل بيضع دقائق كنت قد أنهيت قراءة آخر حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة. وقد ترك ذلك في داخلي إحباطا مؤديا ومضاعفا، يضاهي إحباطي من كوني صاحب طاولة للشواء، مطاردا وغير مرغوب فيه". هنا نخبرنا القاص أن شخصية السارد تنتمي إلى الهامش، إلى البرولتارية الرثة، فهو يقطن في غرفة فوق السطح ويعيش على ما تدره عليه طاولة شواء، وغالبا ما يشتغل أصحاب هذه الطاولات ليلا مطاردين من أعوان السلطة، ولذلك فإن مداخيلهم الهزيلة ليست متواترة بسبب التضيق الممارس عليهم؛ ويخبرنا القاص أيضا أنه يبحث عن حكاية كان يعتقد أنه قرأها ذات يوم في كتاب ألف ليلة وليلة إلا أنه لا يعثر عليها الآن، والحكاية تحمل عنوانا لافتا هو: "حكاية بائع الذرة المقلية مع العبد مسعود والخليفة الطاغية". هذه الحكاية إذن بطلها بائع متجول أيضا، تماما مثل السارد في القصة الذي هو بدوره صاحب طاولة شواء. إننا بإزاء شخصيات/مرايا، حيث الواحدة هي انعكاس للأخرى كما في اللبالي الشهرزادية؛ ثم في لحظة البحث عن الحكاية الضائعة تدخل على الخط، في بعد هذيان/حلمي، شخصية خورخي لويس بورخيس العارف بمكان وجود تلك الحكاية في كتاب ألف ليلة وليلة، وكما يعلم القارئ فإن بورخيس الحقيقي شهرزادي حتى النخاع؛ ولكن ما يهمنا هنا أنه سيخبر السارد/صاحب طاولة الشواء بنبوءة تراجيدية، ستحصل بعد عشر سنوات، وهي انتحار بائع ثالث يمتن مهنة رثة أخرى وهي بيع حساء الفول المطحون - البيصارة - وهي أكلة الشعب الفقير المهشم، وهنا تكتمل اللعبة المراوية إذا أضفنا معلومة بسيطة وهي كون الكاتب نفسه قد امتن ببيع المأكولات الشعبية على قارعة الطريق في فترة ما.

أما قصة «ليل طويل» فبطلها جزار يبيع أيضا اللحم على طاولة في السوق، أي أنه بائع مهمش مثل باقي الباعة في قصة «الأعمى في العتمة»، وكما في القصة الأولى ثمة نهاية تراجيدية، فانتحار بائع البيصارة كان بسبب حزن طنابجره وأوانيه، من طرف أعوان السلطة؛ كما جنّ الطاهر الجزار في قصة «ليل طويل»، بسبب أعوان السلطة في المجال القروي: الشيخ، المقدم، والجدارمية. وفي قصتي «من قتل الراعي؟» و«رسالة الفاضل» ثمة نهايات مأساوية لشخصيات تعيش على هامش المجتمع أيضا.

رغم أن مجموعة «كلاب السوق» تطبعها عوالم الباعة المتجولين والجزارين والرعاة والمجانين



الزهرة رميح

أقدم بالشكر الجزيل لماستر مكونات الأدب العربي بالمغرب الحديث والمعاصر /التاريخ والخطاب في شخص منسقته الدكتورة ربيعة بنويس والدكتور هشام موساوي على تنظيم هذه الندوة حول تجربتي السردية، وعلى الدعوة الكريمة التي أتاحت لي تحقيق رغبة مشتركة بيني وبين طلبة وطالبات هذه الجامعة منذ سنة ٢٠١٢. فمنذ ذلك التاريخ، والعديد من الطلبة ممن يشتغلون على أعمالي أو يقرأونها يتواصلون معي، ويتمنون لقائي بالجامعة. ورغم أن الظروف لم تسمح بتحقيق تلك الرغبة في حضوري المادي، إلا أن أساتذة هذه الجامعة وطلبتها الأعزاء جعلوا حضوري المعنوي فيها دائما، وذلك عبر تدريس أعمالي السردية، وإنجاز البحوث الجامعية حولها.

بعميق شكري وامتناني على هذه الندوة التي أتاحت لي فرصة التواصل مع طلبة هذه الجامعة التي ربطتني علاقات طيبة مع بعضهم لا تزال مستمرة حتى اليوم. كما أقدم أيضا بعميق شكري وامتناني للدكتور أحمد الجرطي الغني عن التعريف بتميزه النقدي الرصين، لكونه من جهة، كان صلة وصل بيني وبين الدكتور هشام موساوي، ومن جهة أخرى لكونه كان يدرس بهذه الجامعة، وكان بدوره يحتفي بتجربتي الروائية مع طلبته ويقدمها لهم بحب وتقدير، حب تجسد في مقالاته النقدية المتعددة، وفي الكتاب الذي نسقه حول رواية «الناجون» تحت عنوان: «السرد وتمثيل الذاكرة التاريخية/ قراءات في رواية «الناجون» للزهرة رميح»، الصادر سنة 2016، وفي كتاب جديد يعده حول رواية «الغول الذي يلتهم نفسه». كما أقدم بالشكر والامتنان للدكتور عبد العزيز بنار على مشاركته في هذه الندوة، وعلى مداخلته القيمة. وقد سعدت بحضوره وأنضمامه إلى باقة النقاد الذين ربطت الكتابة بيني وبينهم وأواصر المحبة الخاصة لوجه الإبداع.

ويبقى الشكر دائما للطلبة الأعزاء الذين اتخذوا من تجربتي الروائية والقصصية موضوعا لبحوثهم سواء في الإجازة، أو الماستر، أو الدكتوراه، والذين عبروا لي دوما عن محبتهم وتقديرهم. فطلبة كلية الآداب بجامعة ابن طفيل من بين الطلبة الأكثر تناولا لتجربتي منذ أكثر من عشر سنوات.

كانت هذه كلمة لا بد منها في حق هذه الجامعة بأساتذتها وطلبتها. ولذلك، لن أخذ من وقتكم أكثر مما أخذت، ولن أتكلم عن تجربتي الإبداعية. فقد قدمت العديد من الشهادات حولها في مناسبات عديدة جمعتها في كتاب صدر سنة 2020 تحت عنوان: «جمرة الكتابة»، ومنها شهادة بعنوان: «مثلما يسلم الثعبان جلده» قدمتها في ندوة نظمتها فرع اتحاد الكتاب بهذه المدينة في مثل هذا الشهر (مارس) من سنة 2015، كما أنني تكلمت كثيرا عن تجربتي الإبداعية من خلال الحوارات التي أجراها معي عشرات المحاورين على امتداد قرابة عشرين سنة، والتي نشرت الجزء الأول منها سنة 2015 تحت عنوان: «عيون تحديق في العتمة/ حوارات حول الكتابة والحياة». وسيصدر الجزء الثاني منه قريبا.

لذلك، أفضل أن أستمع إليكم أعزائي الطلبة، وأن أتجاوز معكم. لأنني أستفيد من الحوار مثلما أستفيد من النقد. فهو مثله يضيء بعض عتمة النصوص، ويؤولها بما قد لا يخطر على بال الكاتب... وهو بذلك يمنحها حيوات متجددة ومتعددة بتعدد مستويات القراءة وزوايا النظر. فالقراءة هي إكسبير الإبداع... هي البحر الذي يسبح فيه والذي بدونه يكون كالسمكة الميتة حسب وصف الشاعر نزار قباني للقصيد التي لا تقرأ.

شهادة قدمت بمناسبة تنظيم ماستر مكونات الأدب العربي بالمغرب الحديث والمعاصر /التاريخ والخطاب بكلية الآداب جامعة ابن طفيل بالقنيطرة ندوة حول التجربة السردية للكتابة في إطار مشروع «ربيع الرواية» بتاريخ 02 مارس 2023.

في رحاب جامعة ابن طفيل



بين الحضور المادي والمعنوي

رغم أن الكثير من الجامعات المغربية تُدرّس فيها أعمالي، وينجز طلبتها بحوثا حولها بفضل أساتذة أفاضل أمنوا منذ بداياتي الأولى بتجربتي الإبداعية، وأن كلية الآداب سايس بجامعة محمد بن عبد الله بفاس احتضنت أطروحة دكتوراه جمعت بين تجربتي الروائية وتجربة الروائية الرائدة ليلي أبو زيد أنجزتها الطالبة رشيدة محزوم تحت إشراف الدكتور محمد مساعدي، ونوقشت سنة 2018 تحت عنوان: «عزوزة»، أخايد الأسوار نماذج»، إلا أن أول أطروحة دكتوراه تناولت تجربتي السردية بشكل حصري في الجامعة المغربية نوقشت في رحاب هذه الجامعة، تحت إشراف مزدوج لأستاذين متميزين يعتبران من بين أوائل الأساتذة الذين درسوا أعمالي القصصية والروائية، وشجعوا طلبتهم على إنجاز بحوث حولها، وهما: الدكتور حسن لشكر أحد أعمدة هذه الكلية، والدكتورة نادية لعشيري أحد أعمدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس. وقد كانت هذه الأطروحة من إنجاز الطالب الولي العلمي وموضوعها: «اشتغال الذاكرة في الكتابة السردية المغربية النسائية من خلال «عزوزة» والذاكرة المنسية» للزهرة رميح».

نوقشت تلك الأطروحة في رحاب هذه الجامعة في شهر يناير من سنة 2021. وكانت رغبتني قوية في حضور مناقشتها، خاصة وأن أول دكتوراه حصرية حول تجربتي الروائية أنجزت بالجزائر سنة 2018 بجامعة محمد خيضر، بمدينة بسكرة، تحت عنوان: «نظرية

الأنساق الثقافية في الرواية النسوية/ الزهرة رميح أنموذجا»، ولم أتمكن من تلبية دعوة الطالب وليد خضور، والدكتور عبد

الرحمان تيرماسين الذي أشرف عليها. كانت رغبتني قوية، لكن ظروف كورونا حالت دون تلبية دعوة أستاذنا الفاضل الدكتور حسن لشكر، كما حالت ظروف أخرى دون تلبية دعوته الكريمة لحضور مناقشة رسالة ماستر متميزة حول رواية «الناجون»، ومن ثم تظافرت الظروف للحيلولة دون تحقيق تلك الرغبة القديمة/المتجددة في زيارة هذه الجامعة، ولقاء طلبتها الأعزاء. ورغم أن ندوة حول تجربتي السردية مبرمج هذه السنة داخل الجامعة، إلا أن الظروف شاءت أن تتحقق تلك الرغبة في إطار هذا الماستر على يد منسقته الدكتورة ربيعة بنويس والدكتور هشام موساوي اللذان شرفاني بتدشين مشروع «ربيع الرواية» الذي يهدف إلى الاحتفاء بالتجارب الروائية المغربية. لم تكن لي سابق معرفة بالدكتور هشام موساوي، ولكنني كنت أعرف اسمه من خلال الأخبار التي تصلني من بعض طلبته وبعض زملائه ممن تربطني بهم علاقة صداقة عن اهتمامه بتجربتي الإبداعية، وتقديمها لطلبته بحب وتقدير. ولذلك، أقدم له



أسامة الزكاري

حروفاً أخرى في أبجدية التاريخ ورؤية مرآوية تفسر ونفهم بها باقي الأحداث، مع ترتيب جديد لأسئلتنا، لعلنا نرى أنفسنا كما نريد بلا زيف أو ما اعتقدناه تاريخاً «مكتملاً». في هذا الكتاب صفحات من مدخل عام ونصوص منتخبة، لإضاءة

سبع رسائل إلى صالح بن طريف، من الباطن المطل على رحابة الحياة، ابتغاء القبض على فصل من المبادرات المغربية التي هي مجرى ذاكرة جماعية مشتركة، وهوية مغربية تشكلت عبر قرون عديدة...» (ص ص. 12-13).

وسعى من المؤلف للارتقاء بتوليفته الجمالية في السرد، سعى إلى التخفيف من سلطة «الهوامش» والاحتفاظ بما هو ضروري ومنسجم مع ضرورات الحكيم. وقبل تقديم الرسائل، حرص الأستاذ حليفي على وضع مدخل تركيبى لرصد تطور تاريخ المغرب منذ عهده السحيقة لما قبل الميلاد، وإلى حدود مرحلة بداية القرن 12م، تاريخ نهاية سلطة دولة برغواطة. وفي هذا الباب، ظلت لغة الأستاذ حليفي متحررة من الصرامة المنهجية المرتبطة بـ«صنعة» المؤرخ، في مقابل هيمنة سرد سلس، ينساب من دون أن يحدث أي توتر في ذهن القارئ، وليقدم أرضية ملائمة لاحتضان «ألواح من الخيال». يقدم سرد الأستاذ حليفي نموذجاً خاصاً بصاحبه على مستوى استثمار المادة التاريخية، من خلال القبض بطرفي الخيط الرفيع الرابط بين جنوح الذاكرة الجماعية المتحررة من كل الضوابط المنهجية والقيود النقدية من جهة، وبين الذاكرة التاريخية المخلصة في ولاتها لتوثبات النقد التاريخي ولأدواته الإجرائية الصارمة من جهة ثانية.

يعيد الأستاذ شعيب حليفي -في رسائله- تركيب وقائع إمارة برغواطة بصيغة احتفائية واضحة، وبحس جمالي مرهف، وبإصرار متواصل على التأكيد على محدودية القراءات والتأويلات المكتنفة لمجمل الكتابات التي همت هذه الإمارة. يقول موضحاً هذا المعنى: «التاريخ مثل غربال بعيون واسعة، تسقط منه الكثير من الأشياء ولا يبقى إلا اليسير. أين يسقط هذا الكثير ولا ندركه اليوم بالوثيقة؟. يسقط ليصبح سماداً يخصب خيالنا الجمعي.. فنراه ماثلاً في مجرى أيامنا. انتظر.. لفي خضم هذا السواد برأئته الحارة، ساكتب، رسائلتي إلى صالح بن طريف. هل عاد أخيراً.. أم يتأهب للعودة..!! هو لن يعود، لن يعود. ولكنه ينتظر عودتنا نحن بشغف.. وها أنا أكاتبه. تكتابه أم تكاتبتنا نحن؟...» (ص ص. 44-45).

تقدم رسائل حليفي صيغاً مشتبهة لشخصية صالح بن طريف، المتواري/المنتصب، من خلال إشارات دالة على عمق انتماء السارد للأصل وللرموز وللتاريخ، بدليل إصراره على افتتاح كل رسائله بصيغ تجبيلية تسقط رؤى الراهن على حمولة الماضي، مثل مخاطبة صالح بن طريف بصيغة «سلاماً بوي الأكبر، صالح بن طريف المصمودي...» (الرسالة الأولى)، وصيغة «بوي صالح الغالي الصامد» (الرسالة الثانية)، وصيغة «يا صالح.. يا صاحب السر المكمول» (الرسالة السادسة)، وصيغة «بوي صالح.. الشامخ القادر» (الرسالة السابعة). أبدى الأستاذ حليفي في سرده حرصاً متواصل على مخاطبة صالح بن طريف مباشرة، عبر لغة شفيفة، اخترقت الأزمنة والعصور في رحلة ممتدة بين القرنين 12 و 21 الميلاديين، باحثة عن ما يمكن أن يحقق المصالحة الضرورية بين شخصية السارد وشخصية صالح بن طريف المشتبهة أو كما يعيشها المؤلف ويتمثلها. يقول السارد مخاطباً صالح بن طريف في الرسالة الأولى: «ساروي لك ما تعرف تفاصيله، وربما تضحك مما ستسمع وأنت هناك في السماء، ستعجب من تأويلات جنحت بعيداً عن أصل الحكاية التي كانت فكرة صغيرة وبسيطة، ثم نمت وترعرعت كما كان ينبغي لها أن تنمو، بريّة ووحشية، في أرضها الصامدة والمصمودية. لماذا يريدون منك أن تكون كما ألفوا، نسخة من هذا أو ذاك؟ ولماذا لا يستوعبون أن بهذه البلاد، ومنذ أ بكر الأوقات، رجلاً ونساءً يمكن أن يكونوا

للأستاذ شعيب حليفي تحت عنوان «سبع رسائل إلى صالح بن طريف»، وذلك سنة 2022، في ما مجموعه 185 من الصفحات ذات الحجم المتوسط. ويمكن القول، إن صدور هذا العمل بشكل امتداد ثقافياً لشغف معرفي طبع تجربة الأستاذ حليفي، احتفاءً بتراث منطقة الشاوية وبتاريخها العريق وبأعلامها الخالدين، الأمر الذي نجد بصمات معبرة عن قيمه في أعمال روائية مسترسلة مثل «زمن الشاوية» (1994)، و«لا أحد يستطيع القفز فوق ظله» (2010)، و«سطات» (2017). لقد استطاع الأستاذ حليفي اكتساب القدرة على تطويع لغته لتنسجم مع حمولات ولعه بالأرض وعشقه للجوه وارتباطه بالرموز. فآتمر ذلك نصاً سردياً رائعاً، نجح -من خلاله- في إعادة قراءة واقع منطقة تامسنا التاريخي، على ضوء رحابة فعل التخيل التي تظل صفة مخصوصة لكل كتابة إبداعية راقية. ويفسر الأستاذ حليفي أفق هذا البعد المؤطر لاستثماره لدرس التاريخ عند بناء متن رسائله السبع، قائلاً: «إن تاريخنا ليس أحداثاً معزولة عن الخيال العام. وخيالنا هو الأنوار التي تشيد الجسور وتضيئ العتمة. وقد تعودنا أن كل شعب يرسم بذكرته ما يكتبونه له

لعل من عناصر التطور الهائل الذي أضحت تعرفه مناهج البحث التاريخي المعاصر، انفتاحها على رصيد الأعمال الإبداعية المشتغلة على تفاصيل الذاكرة الجماعية. فإلى جانب العودة لتفكيك مجمل أنساق المضامين السردية التي تنهض عليها متون النصوص الإبداعية، نثراً وشعراً، أصبحت العودة لاستثمار القيم الرمزية ل«درس التاريخ»، إطاراً ناظماً للتفكير في مستويات متعددة ومتداخلة. يرتبط أولها بالرغبة في إشباع نهم حميميات ذات المبدع على مستوى رؤاه الفردانية المخصوصة. ويرتبط ثانيها بسعيه لتوسيع إمكانات السرد الحكواتي من خلال الاشتغال على الضفاف الرحبة لمملكة الحكيم، قبل تلقيحها بصنعة التخيل كفعل مميز لأسئلة الإبداع ولأفاقه الإنسانية الواسعة.

لا يتعلق الأمر بكتابة تاريخية خطية، ولا باستنساخ لرؤى توثيقية تحاكي الواقع أو تبرره أو تسعى إلى ترسيخ عناصر الثبات والسكون داخله. وفي المقابل، يظل هذا المنزج مرجعاً أصيلاً لأنسنة قضايا الذاكرة الجماعية، من مداخل إبداعية عميقة تتوخى أهدافاً متداخلة، أبرزها اكتساب جرأة اقتحام العتمة التي تكتنف بياضات الكتابة التاريخية التخصصية بمعناها الحصري الضيق. تسمح الكتابة الإبداعية بالتححرر من ضغط الوثيقة المادية، ومن الانفلات من الصرامة الحديدية للمصدر، ومن تجاوز عناصر الإفراط في الحذر المميز لصنعة كتابة التاريخ عند استصدار الأحكام والخلاصات والاستنتاجات. ولعل هذا ما يفسر عودة قطاعات واسعة من مؤرخي المغرب المعاصر للاستنجاد بالكتابة الإبداعية في سعيهم لقول ما لم يستطيعوا قوله -أكاديمياً-

بين استيهامات التاريخ وفيفض الذاكرة الجماعية.



«سبع رسائل إلى صالح بن طريف»

عن تاريخه، ليصبح جزءاً من تمثلاته المألوفة، وأي تغيير في هذا التاريخ يخلق زلزالاً يخشاه العقل العام. ونحن، بلا عقدة ذنب!!، مستسلمون إلى تلك الألفة القاسية مع تاريخنا بصفحاته البيضاء والصامته عن أربعة عقود من زمننا. أربعة قرون مدهشة في كل شيء، يمكن أن تمنحنا

في دراساتهم التخصصية الحصرية، وأستدل في هذا المقام -على سبيل المثال لا الحصر- بالأعمال الإبداعية لرواد المدرسة التاريخية الوطنية المغربية المعاصرة، وعلى رأسهم عبد الله العروي في نصوصه السردية والروائية مثل «الغربة» و«اليتيم» و«الفريق» و«خواطر الصباح»، وأحمد التوفيق في نصوص الروائية مثل «جارات أبي موسى» و«السييل» و«والد وما ولد»، ومحمد زنبير في نصوصه السردية التي احتوتها مجموعته القصصية «الهواء الجديد»...

في سياق هذا التصور العام المستثمر لخصوبة عطاء الذاكرة الجماعية، يندرج صدور العمل الثوري الجديد



محمد الوردي

الرؤية الفنية للتاريخ المتبس

في رواية «عريس الموت» لعبد الحميد البجوقي

2013، حكايات المنفى 2015، مع مقوم آخر، وهو العلاقة مستواها السياسي، والثقافي، عبد الحميد البجوقي هذه الموت» لكن بمنظور مختلف الحرب الأهلية الإسبانية،

وعلاقة المغاربة بهذه الحرب، خصوصا وأنها كانت في زمن الاستعمار الإسباني لشمال المغرب.

لقد ظل عبد الحميد البجوقي وفيما لتصوره الفكري ولثقافته المزدوجة المغربية الإسبانية، ولطموحه في صياغة صورة جديدة عن الجوار الحذر بين المغاربة والإسبان، لكنه في هذه الرواية قدم حكاية الحرب من منظورين، الأول نخبوي، تظهر فيه مواقف وخطابات السياسيين وأدوارهم المثيرة للتساؤل بخصوص توريط المغاربة في الحرب الإسبانية، أما الرؤية الثانية، فتمثلت في تجربة إنسانية بين ضحيتين لهذه الحرب، وهما، عبد الرحمن الروخو المشهور في إسبانيا بالبخاندرو، شاب ريفي غرر به وشارك بعنف في الحرب، وروصاريو، شابة إسبانية جمهورية مثقفة ومناضلة، تدافع عن بلدها وتقع أسيرة لعبد الرحمن، فيقع هو في حبها، وتحول علاقتهما من الموت إلى الحياة، حيث تشكل روصاريو وعي عبد الرحمن، وتحول وجهته من الدفاع عن فرانكو وطموحاته الاستعمارية، إلى الدفاع عن المغرب واستقلاله.

وتبعاً لذلك، تأسست هذه الرواية في منطقة وسطى بين الواقعي والتخييلي، حيث نسج الروائي قصصاً متخيلة لكنها متفاعلة مع حدث مرجعي، تتوفر الكثير من تفاصيله في مراجع مغربية وإسبانية اعتمدها الروائي في توثيق بعض الأحداث.

ويمكن تحديد بنية الرواية، في ثلاثة أزمنة: الزمن الحاضر: فيه حكاية أحمد الشاب المهاجر في إسبانيا، والذي يعد بحثاً عن دور المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية، فيتعرف على

روصاريو صاحبة الفندق، وهي امرأة كبيرة في السن عاصرت زمن الحرب، وكانت جزءاً منها، فتكون هذه البداية ذريعة للسارد من أجل سرد تفاصيل الحكاية عبر مخطوط خلفه البطل الحقيقي للرواية وهو عبد الرحمن.

الزمن الثاني: في بداية خمسينيات القرن الماضي 1953: وقد انتصر فرانكو في الحرب الأهلية، وفي ظل الحماية الإسبانية لشمال المغرب. حيث يظهر عبد الرحمن بوصفه محارباً سابقاً في جيش فرانكو ومتمرداً على الإسبان في الحاضر، وهنا يبدأ عبد الرحمن في سرد حكايته في الحرب، وينتقل بنا إلى الزمن الثالث.

الزمن الثالث: في ثلاثينيات القرن الماضي: حيث تبدأ الحرب الأهلية، ويتم استغلال فقر شباب الريف وتجنيدهم في الجيش الإسباني، ضد الجمهوريين، بدعوى محاربة الكفار، ويكون عبد الرحمن ضمن هذا الجيش، حتى تحول حياته من الوحشية والعنف إلى الوعي والتفتح والبحث عن الحرية، بسبب قصة حب ستربطه بأسيرة له هي روصاريو التي بدأت بها الحكاية.

وتقدم الرواية رؤية مثيرة للانتباه وربما مثيرة للنقاش والخلاف والجدل، تتعلق بمواقف السلطة في شمال المغرب، وأفعال قيادات وطنية مشهورة، كما تقدم جزءاً من التاريخ المغربي الإسباني، حيث كان الشعب الإسباني ضحية عنف وتهجير وتدمير كان المغاربة جزءاً مشاركاً في هذه المأساة بدون وعي أو قصد.

وسيختتم الكاتب روايته بصورة من الحاضر، حيث يستعيد الشيوخ وعلى رأسهم كريمو أحد أبطال الرواية، أيام الاستعمار بنشوة مفقودة، وحسرة ممتدة، ويعيد تأكيد العلاقة القوية بين المغاربة والإسبان، وبين الإنسان ووطنه، وهنا عاد

عبد الحميد البجوقي ليظهر برؤيته المعهودة، لمفهوم الوطن، والذي يتجاوز عنده المعنى الجغرافي الضيق، ليصير حالة من التفاعل المستمر بين الذات والمحيط، فالوطن متعدد يتعدّد تجاربنا وعلاقاتنا التي ننسجها بالأماكن والأشخاص، لأن الوطن أوسع من أن تحده حدود. وهي الرؤية التي لخصها في قول بيدرو وهو إسباني استقر في مرتيل منذ عهد الحماية واختار أن يبقى فيها حتى الموت: يقول

على لسان كريمو: «أحبابي بيدرو ذات مرة منزحاً حين سألته عن وطنه الأصلي، أجابني أنه ليس مغربياً ولا إسبانياً وأنه ببساطة مرتيلي وأن وطنه هو أنا وأنت وكل من ينتمي إلى هذه المدينة» ص 188.

ووفق هذه الرؤية المفتوحة لمفهوم الوطن، تحتفي الرواية بمدن الشمال، مثل مرتيل وتطوان، بوصفها مدناً حاضنة للتعدد الثقافي، ومبعدة لكل أشكال الاختلاف الديني بين المسلمين والنصارى واليهود، وقد كان هذا التعدد غير معيق للحياة في ظل

الاختلاف، بل على العكس من ذلك، فقد جاء في الرواية أن معظم الشخصيات المساعدة للدول في نضاله ضد الاستعمار، كانت أجنبية يهودية وإسبانية (الأب خافيير، البائع باكو، اليهودية دونا). وحتى زواج عبد الرحمن المسلم، وروصاريو المسيحية، لم يتأثر بهذا الاختلاف بل تقوى أكثر بالحب والرغبة المشتركة في تحقيق الحرية، لإسبانيا والمغرب على السواء. وهذه إحدى الرسائل المألوفة في خطاب عبد الحميد البجوقي، الذي يدعو باستمرار، من خلال شخصياته، إلى السلام، ونبذ العنف والتفرقة سواء

أكانت سياسية أم دينية أم اجتماعية عنصرية.



كما هم، يفكرون، ويبدعون، ويسوسون، ولهم المبادرة الحرة والشجاعة في إقامة دولة من روح وثقافة هذه الأرض...» (ص 49).

وفي موقف مواز، يلجأ السارد لتجاوز منطوق الزمن، قصد توجيه جنوح ملكة الإبداع والتخييل لتبرير «ما وقع»، وكأنه به يقدم قراءته لبؤس انغلاق الإسطوغرافيات الكلاسيكية التي

تناولت تاريخ إمارة برغواطة، بأهداف نزوعية واضحة، الأمر الذي ألحق بسيرة أعلامها الكثير من مظاهر الافتراء والبهتان. يقول المؤلف في الرسالة الثالثة: «على امتداد البصر والروح، وأنت في خلوتك الأبدية.. شغلهم

كثيراً بالتفاصيل، وشغلنا بحبة صريحة. أكتب إليك اليوم، ليس رداً على أحاديث المؤرخين التي لا تستند على وثيقة أو شهادة، وإنما لأن الافتراء يتلاشى أمام عظمة الزمن والتاريخ. ثلاثة مؤرخين كالوا التهم وطعنوا في أهل تامسنا، والمنصف في التفاصيل

ببعض الرواية، سيدحض كل ذلك، وقد هيأت لك ملحقاً بمنشآت من ذلك وغيره...» (ص 60).

ويضيف مبرراً منحاه الخاص في استنطاق مظان تاريخ إمارة برغواطة قائلاً: «بوييا صالح.. أنا لا أدافع عنكم.. لأن برغواطة أكبر من نقطة حبر مؤرخ تابع، أو شهادة شاهد يتيم بلا أثر ملموس. فقط، أوضح لنفسي ما التبس على غيري، وأضيف بأن المعول سيكون على

الحفريات التي تقطع الشك باليقين. وقد كانت بلاد تامسنا، دائماً، في هذه المرحلة تعاني ممن يكتبون أي افتراء، أو من محاربين بالوكالة من بعض الصنهاجيين وبعض الزناتيين لصالح

الفاطميين أو الأمويين...» (ص 67).

هي بلاد تامسنا التي ألهمت المؤلف، ووجهت بوصلته الأولى والأخيرة في السرد. عندها تتقاطع تيارات الهوية، وفوق أرضها تتلاقح التجارب، وعبر أزمئتها تنبثق عناصر الإبداع والخصب والعتاء. لذلك، كان المؤلف حريصاً على ربط الماضي بالحاضر وهو يستخلص

دروس رسائله لصالح بن طريف، مذكراً إياه بعظمة تاريخ المنطقة التليد وبمجدها المتجدد. قطع الأستاذ حليفي المسافات، لينتقل إلى القرن

20، مذكراً بأمجاد تامسنا وبيطولات رجالاتها وبعظمة تاريخها، حيث يصبح صالح بن طريف مزامناً للجنرال داماد وللجنرال درود، مواكباً لروعة صمود قصبة مزاب -على سبيل المثال- في وجه

الغزو الفرنسي للشاوية سنة 1907 وراصداً لأوجه علامات النكوص الداخلي. يقول بهذا الخصوص: «وستعود إلى الشاوية، التي باتت أرض المجاهدين والصلحاء، في القرن التاسع

عشر، إلى ثورات نادرة، هدمت فيها القصبات المخزنية المعتدية، على رؤوس قوادها، وطردتهم وأعلنت الشاوية بلداً للحرية. ومع مطلع القرن العشرين هبت متصدية للاستعمار الفرنسي، ثم انخرطت في المقاومة الوطنية برجالها ونسائها، في ملحمة ارتبطت أصدائها بما كان

قديماً، مثل أسطورة لا تندثر...» (ص 95).

يخاطب السارد شخصية صالح بن طريف كما لو أنه منتصب أمامه، مستحضراً ملامح وجهه وندوب جسده، مقدماً نتائج استثماره الإبداعي في قالب إنساني مثير، أعاد إحياء شخصية صالح بن طريف، كقيم وكتجارب

وكانت. وفي هذا الجانب بالذات، يصبح درس التاريخ مفيداً لاستثمار تمثيلات المبدع/

الكاتب قصد تطويعها كمادة خام ضرورية لكتابة تاريخ الذهنيات الجماعية التي تنتجها النخب في سياق تفاعلها المتواصل مع حمولات الماضي أولاً، ومع نقل الحاضر ثانياً، ثم مع

أسئلة قلقها الإبداعي ثالثاً.

عبد الحميد البجوقي

عريس الموت

رواية



Al-Bayana

يُعتبر الدكتور الباحث محمد بازّي واحداً من الدارسين القلائل الذين يشتغلون بمشروع مؤسس في التأويليات والبلاغة وتحليل الخطاب؛ فالرجل قضى ما يزيد على عقدين ونيّف من الزمن يبحث في مجال تخصصه، يحركه همّ وجبه هو المراهنة على التأسيس لنظرية تأويلية عربية في مجال تحليل الخطاب؛ وقد تتبّعنا، ولا زلنا نتتبّع، مشروعه هذا، فوجدنا أنه يقوم على أربعة أركان رئيسية؛ وهي:

1- التّأصيل؛ فالرجل محبّ لأصوله العربية الإسلامية معتزّ بثقافته ولغته، مؤمنٌ بقدرة الفكر والعقل العربيّين على إنتاج أدواتها التحليلية والبلاغية الخاصة؛ لذلك يسعى جاهداً في نظريته التأويلية الدرس البلاغي والنقدي ومن تراثه وما راكم من منجزات؛

2- التوسيع؛ ينطلق الباحث من افتراض مفاده أن بعض المفاهيم البلاغية والتأويلية التي تم تضييق مجال اشتغالها في البلاغة القديمة قابلة لتوسيع مجال اشتغالها، عبر نقلها من حقل البلاغة الضيق إلى حقل تحليل الخطاب الفسيح، ومن ضيق الجملة إلى رحابة النص والخطاب؛

3- المرونة؛ إن مراهنة الباحث على التأصيل لنظرية عربية بلاغية وتأويلية أصيلة لا يعني أنه يقطع قطعة تامة مع النماذج والمناهج والنظريات الغربية، ولكنه يفتح عليها، ويستمد منها بوعي، ويتعامل معها معاملة النقد والناقد؛

4- المرجعية الوجودية؛

نحو تأسيس تأويلية جامعة أساسها تناغم الخطاب مع الوجود الدالّ



محطّة تنويرية يعرض مفهوماً جديداً هو مفهوم «التناغم» الذي جاء ناظماً لمجموع الأعمال السالفة. وهو كتاب يُقدّم، استناداً إلى فلسفة تناغم الخطاب والتأويل مع حقيقة الوجود، إجابات عميقة ودقيقة ومؤسّسة من الناحية المنهجية عن سؤال طرحه في عمل سالف هو: كيف نبني العالم بالخطاب؟ يقدم الباحث في مفتتح كتابه، على عاداته التأليفية في الوضوح والبيان، مجموعة من التنويرات والإشارات التي تقرب القارئ من موضوع الكتاب وسياقه، وحدود وأفاق اشغاله، وهي كالاتي:

التنويرات

- 1- لا بدّ أن تتناغم التصورات النقدية التي يصطنعها الكاتب المنظر مع رؤيته للمعرفة وللوجود، وأن تحمل فائدة. وعملاً بهذا المبدأ يقترح الكاتب أنموذجاً تأويلياً نقدياً يقوم على مبادئ التناغم بين الخطاب والوجود، بناءً على ثلاثة تصوّرات ثورية أهمّها:
 - ليس من الطبيعي أن تظل البلاغة بلاغة حدود دون أن تمتدّ إلى بساط الوجود؛
 - ليس من الطبيعي أن يُفهم ما يُنتجه الإنسان من خطاب في حدود عالم الملك دون أن يتعدّاه إلى عالم الملكوت؛
 - ليس من الطبيعي أن يتوقّف النقد الأدبيّ عند حدود ما جاء به النقد الغربي، أو عند حدود ما تركه الجدود.
- 2- تقوم فرضية الكتاب النقدية على متغيّرين:
 - متغيّر مستقلّ: محدّد في آثار التبعية المفرطة للأفكار البلاغية السائدة، ومحدودية مجال عملها؛
 - متغيّر تابع: توقّف التجديد والدوران في الأنساق المعرفية المغلقة، وعدم خروج درس البلاغة إلى الحياة العملية، والإسهام في صناعة الإنسان وتغيير رؤيته للكون.
- 3- يروم «أنموذج التناغم الوجودي» الذي يطرحه الكاتب إخراج البلاغة الحديثة المتعلقة بنظرية الخطاب، من مرحلة الصمت والتوقف، من النسقية المغلقة، ومن جماليات النصّ إلى حياة المعاني الحية، وروحانية الخطاب التي تحتفل بالجمال الوجودي.
- 4- هناك مجموعة مبادئ متحكّمة في الإبدال النقدي الذي يقترحه الكاتب، وهي:
 - الراهنية؛ الجاذبية؛ النفعية؛ الشمولية؛ الجدة.

الإشارات

- 1- لا يدّعي الأنموذج المقترح أنّه يحمل حقائق مطلقة، ولكن غايته أن يثير فكر القارئ، ويدعوه إلى الحوار وتأمّل الأفكار التأويلية والنقدية السالفة من منظور مغاير؛
- 2- يقود هذا النموذج مجموعة دوافع، وهي:
 - تحديّ وهنّ الفكر، وأمانى النفس؛
 - مقاومة المنظورات التأويلية المقيدة بالأنساق الدنيوية التقليدية المغلقة؛
 - التخلص من هيمنة الفكر الغربيّ الهدام، وبناء الهوية التأويلية والحصارية انطلاقاً من الاجتهادات العصرية الممكنة.
- 3- النموذج المقدم لا يدّعي بلوغ الكمال، ولكنه يزعم أنه يقمّ أمثلة تنطلق من المخزّنات السابقة، ويحاول أن يحقق لنفسه بعضاً من الاستقلالية في الرؤية الوجودية.
- 4- التجديد في التأويليات العربية الإسلامية يقوم على الإلمام بالمنجزات السابقة في العلم، ثم نقد فرضيات النظريات السابقة، ووضع فرضيات جديدة يتمّ تمحيصها، اقتداءً بالغربيين في هذا الجانب.

القسم الأول، وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: ركز فيه الباحث على بيان الفروق الموجودة بين النموذج العلمي والأنموذج المعرفي، محدداً سمات كل واحد منهما، وعناصر صناعته المعرفية، مركزاً على بيان أهمية النموذج المعرفي، محاولاً تمهيد الطريق أمام الباحثين لوضع إبدالات معرفية حقيقية، مبيناً أن الإبدال الحقيقي هو بناء معرفي قائم على الاستدلال يتجاوز الطرح السابق، تحركه في هذا المسعى عناصر موضوعية وهي: الجدوى، والمصادقية، والتماسك، والقوة الإجرائية، لا العواطف والأهواء.

الفصل الثاني: اهتم فيه الباحث ببيان كيف يمكن استثمار التراث البلاغيّ في بناء تأويليات جديدة، وذلك استناداً على أساس التناغم بين العلوم الذي عدّه الكاتب حقيقة علمية وعملية كونية لا مجال لتكذيبها أو دحضها، وقد وضع سمات النموذج المعرفي العالم فيما يأتي:

- التطابق الكامل مع الحقيقة الطبيعية؛
- القابلية لتطبيقات توسيعية؛
- التجاوز والتأسيس.

الفصل الثالث: يتناول النظرية التأويلية وسؤال النمذجة.

يبين الكاتب أهمية النمذجة في اختزال الحقائق الكثيرة، مما يجعل الحاجة إليها ملحة لدى الباحثين. وقد ذكر بجهوده السالفة في تقديم نماذج تأويلية، ولكي يكون النموذج منتجاً، فإنّه يتطلب، حسب الباحث، مجموعة من المقومات، وهي:

حول كتاب «التأويليات الجديدة» للدكتور محمد بازّي

وهذا سرّ تميز نظريته عن كل النظريات البلاغية الحديثة، فالرجل يتجاوز بنظريته البعد الملكي الدنيوي إلى البعد الملكوتي الأخرى، وينظر للخطاب، كيفما كان، بأنّه من كسب صاحبه، وهو مسؤول عنه وعمّا يُحدّثه في قرآنه وسماعيه؛ لذلك ينبغي أن يتناغم كل خطاب مع المقاصد العامة للشريعة، ويتناغم مع الرؤية الوجودية القائمة أساساً على البعد الاستخلافي الذي من أجله وجد الإنسان على الأرض.

وفي هذا الإطار وضع بازّي أسس نظريته البلاغية التأويلية من خلال محطات متعاقبة، ومتمكاملة يتأسس اللاحق منها على السابق، ويتفاعل معه، يعمقه ويكمّله ويملاً ثغراته؛ فكانت البداية بمفهوم «الفارّ البليغ»، ثم تبعتها «نظرية التأويل التقابلي»، ف «الاستعارة المنوالية»، وبعدها نظرية «البلاغة الكبرى». ويأتي هذا الكتاب الذي تقدّمه للقارئ بعنوان «التأويليات الجديدة من مناهج الحدود إلى بساط الوجود، أنموذج التناغم» عن دار كنوز بالأردن 2023،

1- وضوح الأهداف؛

2- تحقيق وحدة المعرفة؛

3- التناسب وقابلية الاندماج بين المؤتلفات في العلوم؛

4- الإمداد والاستمداد؛

5- القابلية للتقويم والمراجعة النقدية؛

6- القابلية للتقاسم والتعميم.

الفصل الرابع: قدّم الباحث مسحا أوليا لأهمّ انشغالات جهود المؤلف في البلاغة العربية، باعتبارها جهودا بشرية تظل نسبية وقابلة للدراسة والمطارحة النقدية. وقد حصر ستة وثلاثين مجالا للتأليف البلاغي العربي، وقدّم أمثلة عن كل مجال.

الفصل الخامس: يطرح هذا الفصل إمكانيات إعادة بناء نظرية الخطاب البليغ انطلاقا من أسئلة جديدة، وحاجيات متجددة، مع استحضار أسئلة البلاغة الكبرى التي اقترحها الباحث في أعمال سابقة. وغايته هي تهميس البلاغيين بإمكانية الإبداع النظري، واختراق الأطروحات الجاهزة، وقد عمد إلى التمثيل بعدد من النماذج منها: نظرية «النظم» للجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، ومنهاج البلغاء لحازم، والروض المربع لابن البناء العددي، ومن المحدثين اجتهادات أمين الخولي، وأحمد الشايب، وسعد مصلوح.

الفصل السادس: يتناول التطوّرات التي عرفتها البلاغة الحديثة، ولا سيما البلاغة الرقمية، في علاقتها بتحديات التأويلات الجديدة.

يقترح الكاتب في هذا الفصل مجموعة من المبادئ الأولية لبلورة تأويلية رقمية من منظور نظرية البلاغة الكبرى إيمانا منه بإمكانية توسيع الدرس البلاغي التي عمل بها في مشاريعه السابقة التي وسّعت عدة مفاهيم منها «التقابل»، و«التأويل»، و«النص»، و«الاستعارة»، و«الأدب».

الفصل السابع: يضع فيه الباحث معالم بلاغة تأويلية متناغمة مع حاجات الإنسان المستقبلية.

يفتح الكاتب هذا الفصل باستعراض لأهمّ تعاريف البلاغة التي ذكرها القدماء، ويسطر بخصوصها ملحوظة مفادها أن مفهوم البلاغة في كتب البلاغيين لا يخرج عن ملكة إنتاج الخطاب البليغ، أو صفة الخطاب البليغ، أو علم البلاغة أي القوانين الصناعية للأساليب، ومعايير تقويمها. وهذه العناصر هي التي يسميها «البلاغة الصغرى»، أما مفهوم «البلاغة الكبرى» أو «البلاغة الوجودية» الذي يقترحه هو فيعني الوجود بالقول والفعل وفق ما تقتضيه حقيقة الابتلاء الكوني للإنسان. كما تناول البلاغة المدرسية وما يحيط بها من إشكالات تحول دون تحقيق الغاية منها. القسم الثاني، وفيه ستة فصول:

في الفصل الأول يعرض الباحث تعريفا لإبدال تأويلية الوجود بوصفها أنموذجا لإمكانية بناء الرؤية التأويلية الوجودية للكون، تلك التي تستعير أدواتها الفلسفية والروحية والأدائية من التراث العالم، ويؤكد على أن الدعوة إلى بناء الهوية التأويلية الحضارية والفلسفية لا يعني التفريط في المنهجية التأويلية العالمية، فهي من ضروريات ممارسة التأويل وتحليل الخطابات. وللوصول إلى هذه الغاية يرى الباحث بأنه لا بد من أخذ مسافة نقدية متحررة من الفكر الغربي مهما بلغ من الدقة العلمية.

الفصل الثاني: يقترح أفكارا اجتهادية تأصيلية حول مجالات التناغم وجمالياته، ويوضح معاني مجموعة من المفاهيم المفتاحية في التأويلية الوجودية المتناغمة مع الرؤية القرآنية، وهي: التناغم، التناغم الوجودي، التناغم مع الكون المسبّب، السياق ومبادئه، التناغم الثقافي، تناغم الفهوم، تناغم التقابل، التناغم الاستعاري. ويعرض بعض آليات تناغم الخطاب، وتناغم استراتيجيات التأويل، وتناغم التأويلات والفهوم.

الفصل الثالث: في هذا الفصل دراسة لقصة موسى مع الخضر يجد فيها القارئ رؤية مفصلة لمشروع تأويلية التقابل في تعاملها مع الخطاب القرآني، انطلاقا من أساس توسيعي ينقل التقابلية من تقابلية نصية إلى تقابلية وجودية. فهذه الاستراتيجية القرائية لا يتوقف عند مطمح تحليل الخطاب من أجل التحليل فقط، واكتشاف معناه ومبناه الجمالي، وإنما يتجاوز ذلك إلى تحصيل الوجود الدال بدراسة الخطاب من أجل الانتفاع به، ونفع الآخرين، والإسهام في بناء وجود عابد قاصد يذكر الإنسان باستمرار بمعنى وجوده. ويقدم الباحث اجتهادات تحاول ربط الخطاب القرآني بواقعنا وترهينه فيه، إيمانا منه

بصلاحية القرآن لكل زمان ومكان.

الفصل الرابع: فيه دراسة تطبيقية تعزّز مقترحات الباحث المنهجية في تحليل الخطاب وفق منظور الاستعارة الطرازية (المنوالية)، اتخذ فيها عينية ابن سينا التي مطلعها:

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ

الْأَفْوَاعِ وَرَقَاءَ ذَاتِ

تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعٍ

مَوْضُوعًا لِلْوَصْفِ

والتأويل.

وقدّم في هذا

الفصل، على شاكلة

سابقه، نموذجا تأويليا

للمشتغلين بتحليل نوع

خاص من الخطابات

الشعرية يقوم أساس

صناعته على استعارة

النماذج والرموز، مثل

قصائد المتصوفة التي

تتضمّن استعارات كبرى،

وهي خطابات لا تقدّم

لها مناهج البلاغة قديمة

وحديثة مفاتيح تأويلية

ملائمة، بخلاف ما تتيحه

الاستعارة الطرازية التي

يقترحها الباحث.

الفصل الخامس: جاء

هذا الفصل كسابقه يقدم

نماذج تطبيقية يعزّز من

خلالها الباحث المنظور

التحليلي الاستعاري بمقترحات

لتحليل تمط من الخطابات

والتشكيلية، عملا بمسعا لتوسيع مجال عمل الاستعارة

المنوالية، فقدّم نماذج من استعارات الرسامين التشكيليين

في بيان «فضل الكتاب»، راصدا بعض جوانب اشتغال

متخيّلهم الفني، ومقاصدهم، واجتهاداتهم الاستعارية، وفيما

لنجه في التحليل.

الفصل السادس: يتناول فيه الباحث أحد النماذج

الفلسفية التي يرى أنها تتناغم مع البلاغة الكبرى التي بسط

أسسها في كتابه هذا، وهو نموذج الفيلسوف المغربي طه عبد

الرحمن. وينطلق من فكرة يعدها كملزمة مفادها أنه لا ينجح

نقد أو تظهير أدبي بلا خلفية فلسفية محلية تتسم بخصائص

التداول الإسلامي وتطمح إلى الأفق الكوني بما تقدّمه من

مبادئ عامة. وهذا ما يتوفر في فلسفة طه عبد الرحمن

ويجعل منها فلسفة متناغمة مع رؤية الشريعة الإسلامية.

الخاتمة

وفيها يفتح الباحث مجموعة من آفاق البلاغة العالمية مؤكداً أن أكبر المشكلات التي يعانها العالم اليوم هي سوء التوافق بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد، وبين علوم الدنيا وعلوم الآخرة، بين العقل والقلب، بين النفس ومتطلباتها وبين قوى العقل، بين ما تريد النفس وبين ما أمرت به. والمخرج من هذه المشكلات يراه في تحقيق التناغم كما بسطه في مؤلفه.

وقد دعا في النهاية الباحثين إلى السّير على المنوال النقدي الذي حرّك تأليف هذا الكتاب؛ لأن من شأن ذلك أن يمكن الدارسين العرب من إيجاد جسور كثيرة تسمح بتأسيس إبدالات نقدية وتأويلية وبلاغية انطلاقا من تراثنا البلاغي والنقدي، وتكون بداية لإسهامات الجيل الجديد من محلي الخطاب في بناء أصول نظريات تأويلية وبلاغية عالمية.

تقييم وتقويم

يشكّل هذا الكتاب لبنة أساسا من لبنات المشروع التأويلي البازي الذي بدأه منذ سنوات، واشتغل به بتأن حتى ينضجه على نار البحث والتقصي الهادئة، فاستطاع أن يبلور نظرية تأويلية وجودية تجمع بين رؤية فلسفية للعالم قائمة على ربط خطابات الإنسان وأفعاله بالمجال التعبدي،

وبين التحقيق المنهجي العلمي المبني على خطوات علمية منطقية وموضوعية. إنها تأويلية جامعة للبعدين الدنيوي والأخروي؛ تتناغم مع الحقيقة القرآنية الحاملة لرسالة الله تعالى إلى الإنسان في كل زمان ومكان، كما تتناغم مع القيم الكونية والإنسانية التي تجمع عليها الفطر السليمة أيا كان دينها وجنسها ولونها.

لقد قدّم بازي اجتهادا محمودا فيه كثير من الشجاعة والأصالة والإبداع وربط الجسور مع التأويلات الحديثة يتفاعل معها نقدا واستمدادا، ويتميز عنها في شمولية الرؤيا وأصالة المنطق؛ فإذا كانت هذه التأويلات الحديثة قد حصرت اهتمامها في الخطابات الدنيوية، فإنّ التأويلية الوجودية البازية تعنى بالبعدين الدنيوي والأخروي معا؛ تنظر إليهما بميزان واحد هو ميزان الاعتدال، فتجعل من الدنيوي مطية للخلاص الأخروي. وينطلق بازي من أمرين أساسين؛ أولهما الإقرار بقصور النظريات التأويلية الغربية عن تقديم نماذج تأويلية وتحليلية للخطاب شاملة لسيمياء الوجود الإنساني وعلاقته بالمعرفة، وبالتالي فحقها النقد والاستعاضة عنها بإبدالات معرفية تتجاوز نواقصها. وثانيهما اعتقاد أساس مفاده

النظر إلى الخطاب بمنظور التناغم مع حقيقة الشريعة ومقاصدها العامة؛ فهو يحظى بمكانة مهمة وخطيرة في الآن نفسه؛ فإما أن يكون أداة فعالة في بناء الإنسان السوي التقّي المترن فكرا وسلوكا، وإما أن يكون معول هدم وإفساد وإقبار وضرب لقيم الصّلاح والخير. إن أهم ما يميز مشروع «التأويلية الوجودية» عن جل المشاريع التأويلية الحديثة الغربية والعربية على حدّ سواء هو مفهوم «التناغم» باعتباره مفهوما ناظما وجوهريا عليه قيام النظرية التأويلية الوجودية؛ وما التناغم في مفهومه العامّ إلا ذلك التجاوب والتوافق الذي ينبغي أن يتحقق بين مختلف الخطابات الأدبية والنقدية والبلاغية من جهة، وبين الرؤية القرآنية الإيمانية من جهة أخرى.

إن «التأويلية الوجودية المتناغمة» مشروع عامّ يمكن أن يطرح نفسه نداءً للتأويلات الحديثة، كما يمكن أن يكون بديلا عنها، كيف لا؛ وهو يحفل بالإنسان عموما وبخاصية التكريم التي ميّزه بها الخالق سبحانه بغض النظر عن جنسه ولونه ومكانته، مشيدا بكل القيم الكونية التي فيها صلاح الفرد والجماعة على حدّ سواء، وهذه النقطة هي محط إجماع عقلاء العالم ومفكره اليوم.

ولعل من أبرز مزايا هذا الكتاب الذي قدّمناه أنه لا يُغرق في البحث النظري، فذلك بحر يتقن كثير من الباحثين السباحة فيه، ولكنه يخوض بشجاعة كبيرة خليج التطبيق والتنزيل، فيقدّم عددا من النماذج التطبيقية يجرب فيها مقترحاته النظرية، مبرهنا على إمكانية تنزيل هذه المقترحات النظرية عمليا على نصوص مختلفة، مانحا بذلك مقترحاته بعدا بيداغوجيا تعليميا إجرائيا، ينقلها من المعرفة العالمية إلى التنزيل العملي.

ندعو في حاتمة هذا التقديم الباحثين والدارسين إلى الاطلاع على هذا النموذج التأويلي الجديد ومناقشته مناقشة علمية وموضوعية سواء بتثمينه وإغناؤه أو بنقده وبيان هنّاته، وإن كنا نعتقد أن النظر فيه بعمق وموضوعية، وتحكيم الفطرة السليمة عند نقده، من شأنه أن يجعل صاحبه يؤمن بجودى هذا الطرح وصحّته في أصوله الكبرى ومطلقاته الفلسفية، وأما التفاصيل والأفكار الفرعية فباب مناقشتها ونقدها متاح أمام الجميع، فهي اجتهادات بشرية غير مقدسة، ولكل فيها وجهة نظره.

محمد بازي: «التأويلات الجديدة من مناسبات الحدود إلى بساط الوجود - أنموذج التناغم»، دار كنوز المعرفة العلمية/2023، يقع الكتاب في 425 صفحة



إدريس الملياني

إِلَّا التَّقِيلُ
الْجَمِيلُ
مِنَ الْحَبِّ
هُوَ الْأَسَاطِيرُ
وَالْمُعْجَزَاتُ
وَالْمُسْتَحِيلُ !

3- إِلَى أَجَلٍ
لَا يُسَمَّى

أَنَا فِي ذِمَّةِ اللَّهِ !
قَلْبٌ لِنَفْسِي
وَأَرْدَقْتُ : مَنْسِي !

إِلَى أَجَلٍ لَا يُسَمَّى
وَمَهْمَا
يَكُنْ نَنْ ... !

كَمَا
لَمْ يَكُنْ
أَبْدًا !

لَا غَدًا
وَلَا الْيَوْمَ
وَلَا أَمْسًا !

لَمْ أَرْبِحِ الْعَالَمَ
لَكِنْ مَا
خَسِرْتُ فِيهِ نَفْسِي !

4- سُلْوَانَةٌ

يَرْتَجُّ قَلْبِي
كَلِمَا ضَرَجَ وَجْهِي
بِدَمِهِ
وَفَجَّرَ الدَّمْعَةَ
مِنَ مَحَاجِرِ الْأَجْفَانِ !

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ
وَدَاعَا
أَيُّهَا الْغَالِي
لِرُوحِكَ السَّلَامُ
وَلِذَوِيكَ الصَّبْرَ وَالسَّلْوَانَ !

وَقَبْلَ أَنْ يَنْبِتَ عُشْبٌ
وَيُرِشَ الْمَاءُ
عَلَى أَدِيمِ الْقَبْرِ
تَنْسِي كَلِمَاتِ النَّعْيِ - وَالْعَزَاءُ
فِي شَاهِدَةِ النَّسِيَانِ !

هَنَا ... لَكَ دَائِمًا
جِهَةٌ مَا مِنَ الْقَلْبِ
سَوْفَ تَنْظُرُ
فَارِغَةً أَبَدًا
لَيْسَ يَمَلَأُهَا

الناقد الأسطوري

إِلَى رُوحِ
بَنَعِيسَى بُوْحَمَالَةَ



1
يشقُّ على النَّفْسِ أَنْ تَصَدِّقَ رَحِيلَ الصَّدِيقِ العَزِيزِ
بِنَعِيسَى بُوْحَمَالَةَ. رَأَيْتَ أَمْ لَمْ أَرْ صُورَتَهُ، ذَكَرْتُ أَمْ لَمْ
يُذَكِّرْ اسْمَهُ، مِلَّاءَ العَيْنِ وَالْقَلْبِ، يَتَرَايَ لِي دَائِمًا فِي
شَرِيطِ فَنِّي طَوِيلِ جَمِيلِ جَدَا، يَمُرُّ سَرِيعًا أَمَامِي،
صَامِتًا وَنَاطِقًا، بِالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْأَلْوَانِ، فِي
أَمَاكِنِ شَتَّى، دَاخِلَ الْوَطَنِ أَوْ خَارِجَهُ، هُنَاكَ، عَلَى
سَبِيلِ الْمَثَالِ، فِي لِيَالِي الْقَاهِرَةِ وَاحْتِفَالِيَةِ الشَّاعِرِ
صَلَاحِ عَبْدِ الصَّبُورِ، وَهُنَا، عَلَى سَبِيلِ الْجَمَالِ، فِي
احْتِفَالِيَةِ جَرَسِيفِ، بِنَا مَعَا وَالصَّدِيقِ العَزِيزِ الْفَنَّانِ
التَّشْكِيلِيِّ مُحَمَّدِ سَعُودِ.

وَفِي لِقَاءَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ، كَانَ فِيهَا جَمِيعًا،
مُوسِعَةً مَعْرِفِيَةً شَامِلَةً، وَمَعْلَمَةً جَمَالِيَةً كَامِلَةً،
وَقَامَةً فَنِيَةً عَالِمَةً، رَاسِخَةً، وَبَادِخَةً، وَشَامِخَةً، فِي
أَعَالِي الْجَمَالِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْفَنِّ.

وَكَمْ كَانَ يَحُلُو لِي أَنْ أَحْبِبَهُ بِالنَّاقِدِ الْأَسْطُورِيِّ، مِنْذُ
احْتِفَالِنَا الْجَمَاعِيِّ بِتَارِزَةِ الْمَحْرُوسَةِ شَقِيقَةَ مَكْنَسَاةِ
حُورِيَّتِي الْجَبِلِ وَالْغَايَةِ وَالْمَاءِ، وَأَنْ أُنَادِيَهُ بِتَرْجَمَانِ
أَشْوَاقِ الْمُحِبِّينَ وَالْعِشَّاقِ مِنْ كُلِّ الْأَفَاقِ، الَّتِي أُسْرَى
إِلَيْهَا جَسَدًا وَأُسْرَتٌ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ.

وَفِي كُلِّ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ وَالْمُخَاطَبَاتِ وَالْمُنَاسِبَاتِ،
كُنَّا مَعًا كَثِيرًا مَا نَرُدُّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ، لِأَزْمَةِ
مُوسِيقِيَّةِ صَادِحَةٍ وَفَاتِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ لِأَحَادِيثِهِ
الْمَرْحَةِ، بِمُخْتَلَفِ أَسَالِيبِ اللُّغُو
وَالنَّحْوِ : الْخَسَارَاتِ الْجَمِيلَةِ،
يَا صَاحِبِي، مَا أَجْمَلُهَا مِنْ خَسَارَتِ،
إِنْ هِيَ إِلَّا خَسَارَاتُنَا الَّتِي بَهَا نَحْيَا!
وَكَمْ كُنَّا نَرُدُّهَا مَبْتَسِمِينَ وَمُبْتَسِّينَ،
تَعْلِيْقًا عَلَى مَوَاقِفِ إِرْضَاءِ النَّاسِ
عَلَى حِسَابِ النَّفْسِ، وَمُصَدِّقًا لِقَوْلِ
الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا
اهْتَدَيْتُمْ» وَالكِتَابِ الْمَقْدَسِ: «مَاذَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ
لَوْ رَجَعَ الْعَالَمُ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ»!

وَعَسَى أَنْ يَسْتَجِيبَ الْعَالَمُ كُلَّهُ لْجَمَالِ
بِنَعِيسَى بُوْحَمَالَةَ وَالْكَاطِلِ الْهَادِي بِنِ عَيْسَى
الْفَادِي شَيْخِ مَكْنَسَاةِ وَكُلِّ أَنْوَاعِ الْإِبْدَاعِ الْإِلَهِيِّ
وَالطَّبِيعِيِّ وَالْإِنْسَانِيِّ!

2- الْأَسْطُورِيُّ

لَكُمْ كَانَ
بُوْحَمَالَةَ بِنَعِيسَى
يَقُولُ
وَهُوَ يُشِيرُ
إِلَى جِهَةٍ مَا
مِنَ الْقَلْبِ
سَوْفَ تَنْظُرُ
هَنَا ... لَكَ دَائِمًا
فَارِغَةً أَبَدًا
لَيْسَ يَمَلَأُهَا غَيْرُهُ:

هُوَ الْمُسْتَحِيلُ
نَحَقُّهُ الْإِنِّ
فُورًا، وَكُلِّ
الَّذِي يَتَّبِعِي
مِنَ الْمُعْجَزَاتِ
الَّتِي لَيْسَ يَعْجِزُهَا
مَنْ فِي حُضِيِّ السَّمَاوَاتِ
وَلَا يَعْوِزُهَا
مِنَ الْوَقْتِ إِلَّا التَّقِيلُ
الْجَمِيلُ الْخَسَارَاتِ !